تفسير سورة القمر

هى مكية

إلا ثلاث آيات وهى : أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر : فمدنية

آياتها ٥٥ — نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۞ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۞ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۞ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۞ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۞ وَنَبِّئْهُمْ

أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۞ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۞ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۞ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۞ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۞ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۞ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۞ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۞ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۞ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۞ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ۞ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۞ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۞ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۞ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ۞

هذه السورة ثلاثة أقسام

القسم الأوّل فى تفسير البسملة .

القسم الثانى : تذكير بالساعة وعذاب الدنيا بالهلاك من أوّل السورة إلى قوله « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » .

القسم الثالث : توبيخ قريش ، وقياس حالهم على حال الأمم الماضية ، وأنهم سيهزمون كما هزم الأوّلون ويدخلون النار كما دخلوا ، من قوله تعالى : « أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر » الى آخر السورة

القسم الأول فى تفسير البسملة

يجب الانسان من أمر آى القرآن ، وكيف كانت الرحمة المجسمة فى الشمس والقمر والنجوم قد ذكرت فى القرآن بهيئة لم يعهدها العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، يذكر الله الشمس فيقول : [والشمس وضحاها] ويذكر النجم فيقول : [والنجم اذا هوى] ويذكر القمر فيقول عطفا على [والشمس وضحاها ، والقمر

اذا تلاها] رحمة عامة ظاهرة واضحة مجسمة ، لذلك يكرّر الرحمة فى أوّل كل سورة ليلفت نظرنا إلى رحمات مجسمة وغير مجسمة ، ومن غير المجسمة ماجاء فى هذه السورة من العبر والحكم والمواعظ والآيات البينات . سبحانك اللهم وبحمدك جعلت الرحمة تحيط بنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا .

الله أكبر . الله أكبر : رباه : ظهرت أنوارك ولكنها غشت على عقولنا لأنها أنوار لاحدّ لها ولانهاية ، شمس وقمر ونجوم وجمال وبهاء وعجائب تتلوها عجائب ، ولكن لما كانت العقول خامدة ، والنفوس جامدة ، منحها نعما على قدر طاقتها ، وهى عبر التاريخ و بدائع السير ونظام الأمم ، فأخذ يحدّثنا بتاريخ من قبلنا ، فذكر تلك الأمم البائدة التى قرعت أسماع العرب من قوم نوح وعاد وقوم لوط وآل فرعون أخذ يحدثهم بما يعرفون وليس مما ينفعهم أو يؤثر فيهم أن يذكر لهم أمم الصين ، أوأهل استراليا ، أو أهل أوروبا ، فهؤلاء لاعلم لهم بتلك الأمم فلم يكن هناك بدّ من تذكيرهم بما يأتون ، واعلامهم بما يفعلون .

فسبحانك اللهم جعلت السابقين عبرة اللاحقين ، والأوّلين نبراس الآخرين ، إن ذكرهذه الأمم فتح لباب علم التاريخ ، يرشد الله المسلمين إلى الاعتبار بتاريخ كل أمة من الأمم السابقة واللاحقة شرقا وغربا ، فليس ذكر قوم نوح وعاد وثمود بقيد فى علم التاريخ كما لم يكن ذكر الإبل وخلقتها والسماء ورفعتها والجبال ونصبها ، والأرض ونظامها مقيدا لأمم الاسلام بهذه المخلوقات ، بل ان هذه أمثلة ونماذج لعلم التاريخ والاتعاظ والاتناس بحوادثه المختلفة ليعتبر الخلف بالسلف ، و يقتدى الآخرون بالأوّلين ، واللاحقون بالسابقين ، ومتى درسوا هذه الدنيا عرفوا أنها منتظمة ، وأن كل شىء موزون بميزان لابخس فيه ، وعلى ذلك النظام ستهزم الجموع الكافرة كما انهزم من قبلهم أمام جيوش الأنبياء السابقين « سيهزم الجمع ويولون الدبر » .

ونتيجة ذلك النظام كله أن يقرب الناس من ربهم متى عرفوا أن عمله متقن وأدركته عقولهم ، وذلك القرب بالعلم والمكانه لاقرب بالمكان ، والنهاية أن يكون الانسان فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وهذه نهاية السعادات فى الحياة الدنيا والآخرة ، فأما فى الدنيا فان الناس جميعا فى حيرة مغمورون إلا طائفة واحدة وهى التى أدركت هذا النظام وأعجبت به ، ولن يكون فى حضرة الملك القدّوس إلا هذه الطائفة ، أما بقية الناس فانهم إما فى جنة ولايرون الله إلا على مقدار ماعرفوا ، واما فى نار وهم عنه محجوبون ، والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على القسم الأوّل فى تفسير البسمله . كتب طهر يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٢ م — ١٥ ربيع الثانى ١٣٥١ هـ

القسم الثاني : مذكرات بالساعة وعذاب الدنيا بالهلاك

التفسير اللفظى

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة وانشقّ القمر) أى سيشق يوم القيامة ، أوأنه قد انشقّ كما روى عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرّتين : أخرجه البخارى ومسلم [وكيفية ذلك] أنه انشقّ فلقتين : فلقة فوق الجبل ، وفلقة دونه ، ومعنى هذا أنه يقول سبحانه : قربت القيامة ، وهاهوذا القمر انشقّ من الآن كما تقول : أقبل الأمير وقد جاء البشير بقدومه ، فان انشقاق القمر دلالة على ماسيؤول إليه حال العوالم العلوية والسفلية فان مآلها الانحلال والموار . يقول الله : انظروا أيها الناس ، انكم تطوون الكواكب والشمس والقمر لايعتريها البلى . إن القمر يقبل الضياء ، والدليل على ذلك انشقاقه

الذى استبان لكم ليدلكم على أنه سيبيد من الوجود كما تبيد أرضكم ، والممكنات بأسرها تقبل الفناء .

يقول المؤلف : ومن عجب أن علماء الهيئة فى العلم الحديث لم يذكروا أن شيئا اشتق من الأرض إلا القمر ، ويقولون انه أثناء دورانها قديما انحل عنها ودار حولها ، وهذا أيضا نوع من الانشقاق ، ولكنه انشق من غيره ، وانشقاق القمر من الأرض دليل على أن الأرض تبدل غير الأرض والسموات ، فاذن يكون انشقاق القمر فى القرآن من المعجزات العلمية لامن حيث أن قريشا رأوه منشقا وجبل حراء بين فلقتيه على رواية ابن مسعود فحسب ، بل ان هذا الذى حصل زمن النبوة تذكرة باشتقاقه من الأرض وانفصاله عنها ، فكما انشق القمر نصفين هكذا كان هو مع الأرض سابقا وانشقت الأرض فانفصل عنها القمر ، ومعنى هذا تجزؤ المادة وفناؤها وذهابها وتبدلها ، هذا ماتشير له الآية والاعلم اذا خص القمر بالانشقاق ؟ ولماذا لم يختر الله له الشمس أوكوكبا من الكواكب دلك لهذه النكتة وهو أن القمر هو محل البحث الحديث ، وأن له انشقاقا عن غيره ، فانشقاقه شقين على الجبل ودونه يسير إلى ما كان له قبل ذلك من اشتقاقه من الأرض ، ويكون ذلك من دواعى العلم والكشف والبحث ، فانظر كيف جاء فى هذه السور : البحر المسجور تحت الأرض ، والقمر المشق من الأرض ، والرق المنشور اشارة لعصر الورق وعصر المدنية والعلم ، والبيت المعمور اشارة إلى العوالم التى كشف الناس بعضها ، كل ذلك تذكرة للمسلمين الأولين الآن ، المستيقظين فى مستقبل الزمان ، فهذه كلها محرضات على العلم مشوقات له ، وسيقوم بهذه العلوم أبناء أمة الاسلام فى مستقبل الزمان ، انشقاق القمر فتح لباب العلم والبحث فى أصل الأرض وأصل القمر ، وكل ذلك واجب على أمة الاسلام (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد ، وذلك أنهم رأوا آيات متتابعات فلم يعيروها البتة (وكذبوا) النبى ﷺ (واتبعوا أهواءهم) وهو مازين لهم الشيطان من رد الحق الظاهر (وكل أمر مستقر) كل شىء ينتهى إلى غاية تناسبه فأمركم ينتهى إلى غاية من الخذلان والعذاب فى الآخرة ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم ينتهى إلى نصر فى الدنيا وحسنة فى الآخرة ، وكل حركات الأفلاك ، ونظام العمران ، وأعمال الأمم ، ونظام الانسان والحيوان والنبات . كل ذلك داخل فى هذه القاعدة . فلكل من هذه غاية ينتهى إليها . وهذه من جوامع الكلم وعجائب الحكم ، فقضية النبى ﷺ وقصة المشركين داخلتان فى هذه القاعدة العامة ولذلك أعقبها بقوله (ولقد جاءهم من الأنباء) أى جاءهم فى القرآن من أنباء القرون الخالية وأنباء يوم القيامة (مافيه مزدجر) ازدجار من تعذيب العاصين يوم الدين وهلاك دولهم فى الدنيا ، وأبدل من [ما] قوله (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها ، والملخص أن كل أمر ينتهى إلى غاية ، ومن تلك الامور المنتهية إلى غاياتها مايتلى فى كتاب الله من العذاب الذى يزجر من يعتبر ، ومن الحكمة المنتهية إلى غايتها مصداقا لما ذكر من أن كل شىء ينتهى إلى غاية تناسبه ، ومع ذلك لم ينتفعوا وهو قوله (فما تغن النذر) أى فأى شىء تغنى النذر ، جمع نذير بمعنى المنذر ، اذا علمت أن الانذار لايفيدهم (فتول عنهم) واذكر (يوم يدع الداع) أسقطت الياء اكتفاء بالكسرة والدعاء هنا بمعنى الامر كقوله تعالى « كن فيكون » أوالداعى اسرافيل (إلى شىء نكر) فظيع تنكره النفوس لأنها لاعهد لها بمثله ، وهو أهوال يوم القيامة (خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث) أى يخرجون من قبورهم ذليلا أبصارهم من الهول ، خاشعا حال من الواو ، وتقول خاشعا أبصارهم كما تقول يخشع أبصارهم ، وقرئ خاشعة أبصارهم ، وأما قراءة خشعا أبصارهم فهى على لغة أكلونى البراغيث كأنك قلت : يخشعن أبصارهم ، وقوله (كأنهم جراد منتشر) فى كثرتهم وتموجهم وانتشارهم فى الأمكنة (مهطعين إلى الداع) مسرعين مادى أعناقهم إليه مقبلين (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب (كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوح عليه السلام ،

وهذا تفصيل بعد اجمال (وقالوا مجنون) أى هو مجنون (وازدجر) أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذى (فدعا ربه أنى) بأنى (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم ، وذلك بعد أن يئس منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصبّ ، وهذه الجملة مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدّة انصبابها (وفجرنا الأرض عيونا) أى وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة ، وفى هيئة الاعراب عند النحاة يقال أصلها فجرنا عيون الأرض فعدل عنها إلى مايفيد المبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض وقرئ الماء ان (على أمر قد قدر) على أمر قد قدّره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) هذا من فصيح الكلام و بديعه إذ جعلت الصفة القائمة مقام الموصوف نائبة عنه فأدّت مؤداه ، وذكر الصفة التى على هذا المنوال أبلغ من ذكر الموصوف ، فقولك قميصى مسرودة من حديد أبلغ من قولك قميصى درع ، فهكذا هنا ذات ألواح ودسر [جمع دسار ، وهو المسمار من الدسر وهو الدفع لأنه يدفع منفذه] أبلغ من سفينة ، وقوله (تجرى بأعيننا) أى تجرى حال كونها محفوظة بنا ، لأنها اذا كانت بمرآنا فهى فى حفظنا ، وانما فعلنا ذلك (جزاء لمن كان كفر) وهو نوح ، لأن النبىّ نعمة من الله ورحمة ، فاذن نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة ، أوالفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر أمرها (فهل من مدّكر) معتبر (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار : أى فانظر يامحمد كيف كان عذابى ، وكيف كان حال انذارى لهؤلاء الذين أنذرهم نوح ؟ ألم يتمّ نصرى لنوح الذى أنذرهم وهلاكى لهم لكفرهم ، وذلك من الحكمة السابقة « وكل أمر مستقرّ » فهكذا ستكون الأمم وأحوالها ، وهكذا عواقب أمورها (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه (للذكر) أى ليتذكر و يعتبر به (فهل من مدّكر) أى متعظ بمواعظه (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله ، ألم يتمّ ، ألم يكن مهولا ؟ وكأنه يقال ماهذا العذاب فقال (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أوشديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمرّ) أى استمرّ شؤمه فاستمرّ عليهم حتى أهلكهم (تنزع الناس) تقلعهم من أماكنهم حال كونهم (كأنهم أعجاز) أصول (نخل منقعر) منقلع من مغارسه ساقط على الأرض ، وانما شبهوا بالأعجاز لأن الريح طيرت رءوسهم وطرحت أجسادهم ، والنخل اسم جنس جمعى يذكر ويؤنث ، فلذلك جاء فى القرآن : « أعجاز نخل خاوية » وجاء هنا « أعجاز نخل منقعر » ونظير ماهنا « إليه يصعد الكلم الطيب » (فكيف كان عذابى ونذر) كرّره للتهويل ، ولأن لهم عذابين : أحدهما فى الدنيا ، والثانى فى الآخرة ، وجاء فى قصتهم « لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى » (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ، كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات والمواعظ التى جاء بها صالح (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا أومن جلتنا (واحدا) منفردا (نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر) الضلال الخطأ والسعر الجنون ، ومنه ناقة مسعورة وهذه الكلمة مستعملة اليوم عند العامّة فى أمتنا المصرية بهذا المعنى (ءألقى الذكر عليه من بيننا) وكيف يكون كذلك وفينا من هوأحقّ منه به (بل هوكذاب أشر) حمله البطر على الترفع علينا بادّعائه الوحى فقال الله تعالى على لسان صالح عليه السلام (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم فى الدنيا ويوم القيامة (من الكذاب الأشر) الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحقّ وطلب الباطل أصالح أم من كذبه ؟ (إنا مرسلوا الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم لأنا نمتحن بالنعم و بالنقم (فارتقبهم) فانتظرهم وانظر مادا يصنعون أيشكرون أم يكفرون (واصطبر) على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم ، وفيه تغليب العقلاء على غيرهم فللناقة يوم ولهم يوم (كل شرب محتضر) أى محضور يحضره صاحبه فى نوبته ، يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما كما فى آية أخرى « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم »

ثم سئموا النعمة (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة ، أوفتعاطى السيف الخ (فكيف كان عذابى ونذر ، إنا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) أى كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم ، والمعنى أنهم صاروا كيابس الشجر اذا بلى وتحطم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ، كذبت قوم لوط بالنذر ، إنا أرسلنا عليهم حاصبا) أى الحصباء وهى الحجارة دون الكف ، وقد يراد بالحاصب الرامى : أى أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحصباء (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أى فى سحر ، وهو آخر الليل (نعمة من عندنا) أى انعاما منا (كذلك نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فشكوا بالانذارات ولم يصدّقوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه لما يقبح فعله (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وسوّيناها كسائر الوجه ، وذلك لما دخلوا داره عنوة ، أوطمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا ؟ قال تعالى (فذوقوا عذابى ونذر) أى ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقرّ) أى دائم : أى استقرّ فيهم حتى أفضى بهم إلى الهلاك (فذوقوا عذابى ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) تكرار هذه وتكرار أمثالها فى القرآن كما فى [سورة الرحمن] الآتية للايقاظ والتنبيه وهذا كثير فى كلام العرب كقوله :

قرّبا مربط النعامة منى ✲ لقحت حرب وائل عن حيالى
قرّبا مربط النعامة منى ✲ شاب رأسى وأنكرتنى عيالى

وهى طويلة على هذا النسق ، وهذا التكرار يكون فى الأمر العظيم كما هنا ، فقوله ، « ويل يومئذ للمكذبين » ، وقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » عند القوم فى الأوّل ، والنعم فى الثانى من هذا القبيل وذلك لتكون العبرة حاضرة عند السامع مصوّرة فى الأذهان ، وكذلك تكون صور النعم غير منسية . ثم قال تعالى (ولقد جاء آل فرعون النذر) وفرعون أيضا من باب أولى (كذبوا بآياتنا كلها) وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لايغلب ولايغالب (مقتدر) لايعجزه شىء . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة .

القسم الثالث : توبيخ قريش وقياس حالهم على حال الأمم الماضية وأنهم سيهزمون كما هزم الأولون ويدخلون النار كما دخلوا

قال تعالى (أكفاركم) يامعشر العرب (خير من أولئكم) أى أقوى وأشدّ من الذين أحلت بهم نقمتى مثل قوم نوح ومن بعدهم (أم لكم براءة) من العذاب (فى الزبر) أى فى الكتب أنه لن يصيبكم ما أصابهم (أم يقولون) أى كفار مكة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولا ننضام ، أنذر الله الأمم السالفة وتمّ ما أنذر به هكذا هنا يقول سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أى الادبار فكل واحد يولى دبره ، وهذا من دلائل النبوّة فانهم هزموا يوم بدر وما بعده ، ولم يكن له صلى الله عليه وسلم فى مكة جيش بل كان أتباعه مشرّدين فى الآفاق ومعذب بعضهم . قال عمر رضى الله تعالى عنه : لما نزلت لم أعلم ماهى ؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع

ويقول « سيهزم الجمع » فعلمته . أقول : وليس ذلك قاصرا على يوم بدر بل استمرّ انهزامهم (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم الأصلى ، وعذاب الدنيا كالمقدّمة لعذاب الآخرة (والساعة أدهى) أشدّ وأعظم داهية من الأسر والقتل يوم بدر ومابعده ، والداهية أمر فظيع لايهتدى لدوائه (وأمرّ) مذاقا من عذاب الدنيا (إن المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون فى النار) يجرّون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مسّ سقر) أى ذوقوا حرّ النار وألمها ، فان مسها سبب للتألم ، وسقر علم على جهنم ، تقول سقرته النار وصقرته اذا لوحته (إنا كل شىء خلقناه بقدر) أى مقدّرا مرتبا على مقتضى الحكمة ، وهذا يقرب من قوله فيما تقدم : « وكل أمر مستقرّ » وأتبع تلك الحكمة بقصص الأمم وختمها بانذار أهل مكة ، ولما أتمّ ذلك ذكر النتيجة . فقال : ان كل شىء مرتب على مقتضى الحكمة ، فالأوّل كأنه قضية يراد الاستدلال عليها ، ولما ذكر قصصهم وانذار مشركى مكة ذكر الحكمة اشارة لسطوع البرهان وظهور النتيجة ، وهذا كقوله تعالى : « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » فالعوالم متشابهة ، وأحوال الأمم متشابهة ، فالمصلحون كلهم نافذة منصورون ، والمفسدون مقهورون معذبون ، ثم أعقبه بأن هذا يسير عليه فقال (وما أمرنا إلا واحدة) فعلة واحدة ، وهو الايجاد بلامعالجة ومعاناة ، أو إلا كلمة واحدة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة ، ومنه أمر الساعة فهو كلمح البصر ، واذا ثبت لديكم أن كل أمر مستقرّ ، وأن كل شىء خلقناه بقدر ونظام وحكمة بما قصصناه عليكم من أمر الأمم فكيف تغفلون ولاتتعظون بعد ثبوت هذه الحكمة ؟ وهذا قوله (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر كما قصصناه (فهل من مدّكر) متعظ (وكل شىء فعلوه فى الزبر) مكتوب فى كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) مسطور فى اللوح (إن المتقين فى جنات ونهر) كسبب أى أنهار ، وانما وحده لموافقة رءوس الآى ، وهى أنهار الجنة المتقدمة فى [سورة القتال] وقرئ بجنب جمع نهر (فى مقعد صدق) فى مكان مرضىّ ، أوفى مجلس حقّ لالغو فيه ولاتأثيم ولا كذب لأن الله صادق فمن وصل إليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك مقتدر) مقرّبين عند من تعالى أمره فى الملك والاقتدار ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فهؤلاء هم الذين يحظون بالقرب من ربهم . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة ، والحمد لله رب العالمين .

لطائف هذه السورة

اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » .

اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » .

اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » .

اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على مامنحتنا من العلم ، وحببتنا من التيسير ، وأفضت من الخير علينا وعلى المسلمين فى سائر الأقطار فى هذا الزمان الذى به أشرق نور الاسلام واردهر ، وظهر نوره وانتشر ، وأشرقت أرض الاسلام بنور ربها ، وأطهرت أسرارا من العرفان وعلوما من العرفان لأمة الاسلام تناسب حالها ، وتمثلها من وهدتها ، وتوقظها من غفلتها ، وترفعها من كبوتها ، وتطلقها من عقالها ، وتهديها إلى سواء الصراط .

أقصّ اليوم السبت ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣١ م قصص ما كان بيني و بين صديقي العالم الذي اعتاد أن يحادثني في هذا التفسير ، إذ حضر الليلة وأفاض عليّ من الأسئلة ، وكأنني فوق طاقتي من المباحث ، ولكني والحمد لله استعنت به سبحانه وأجبته بقدر طاقتي « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وسيظهر في الأمم الاسلامية بعدنا أناس لهم قدم صدق وخبرة وحكمة في كل زمان بحسبه ، فالله لا يظهر الحكم والعلوم إلا مناسبة لزمان ظهورها .

قال صديقي العالم : إني قرأت اليوم [سورة القمر] فوجدت الله تعالى يقول في سفينة نوح : « ولقد تركناها آية فهل من مدّكر » . ويقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » وهكذا يقول في آخر قصة فرعون وعاد ، وفي قصة ثمود ، وفي قصة قوم لوط ، ثم أعاد آية : «فهل من مدّكر» عند قوله «ولقد أهلكنا أشياعكم » كرر التذكر وطلبه سبع مرات بهيئة الاستفهام المقصود به الأمر ، وهذا أبلغ في طلبه ، والقرآن جاء لهدينا نحن ، واذا نحن أمرنا أن نفكر في سفينة نوح وأن الله تركها لنا آية ، وفي هلاك من كذبوا من أمته ، وفي قوم فرعون وهلاكهم ، وقوم عاد وثمود ولوط وجميع الأمم التي كذبت ، وهذه كلها غائبة عنا وتذكيرنا بها نافع ، أفليس هذا يكون داعيا حثيثا بالأولى أن نفكر فيما هو محيط بنا .

الله أكبر : ان هذه السورة فتحت لنا من العلم أبوابا ، فتحت لنا أبواب العلم على مصراعيها ، جلّ الله جلّ الله ، إن كل ما فيها تاريخ قديم ، والتاريخ القديم اتبعه مابعده وامتدّ الأمر إلى زماننا هذا ، إن الله عزّ وجل هو الذي أمرنا بالاعتبار بتاريخ الفراعنة وهلاكهم بعد قوم نوح وهلاكهم ﴿ و بعبارة أصرح وأبين ﴾ ان المسلمين في زماننا يجب عليهم أن يعتبروا بقدماء المصريين ويدرسوا تاريخهم ، وتاريخهم تقدم منه شيء في هذا التفسير ليكون أنسا لقرّائه ، وفيه عجائب دول المصريين القدماء من حيث تطوّر أحوالهم من الأحسن إلى الحسن إلى الردىء ، وقد كانت كبوتهم وزوال ملكهم تابعين لانحرافهم وسوء سلوكهم ، وهذا تقدّم في سور كثيرة ومنها سورة غافر عند آية مؤمن آل فرعون ، وهكذا بلاد حضرموت التي تقدم وصفها في سورة الأحقاف ، وكيف كان بها قوم عاد ، وأن آثارهم باقية ، وهناك قبر هود عليه السلام ، والمسلمون جيعا مقصرون لأنهم لم يرسلوا من يفك تلك الرموز التي في ذلك القبر كما أخبرني بذلك من شاهدوه هناك ، وكذلك قبر صالح عليه السلام في تلك البلاد ، فهذه الأمم التي بقيت آثارها يجب استقصاؤها بالدرس لمعرفة علومها والانتفاع بها ، وكيف تدهورت واضمحلت حتى نجتنب نحن ماوقعت فيه تلك الأمم بالتفصيل ، أما الاجمال فلا خير فيه ، فالاذكار المذكور في الآية يستحيل أن ننالها إلا بالتفصيل ، أما الاجمال فهو مقفل الأبواب معطل الحكمة ، والتفصيل هو الخير وهو العلم والحكمة .

هذه الآراء أذكرها الآن لأني فهمتها من سابق هذا التفسير ، فان مامضى من التفسير يجعلني أفهم هذه الآية على هذا الوجه ، وأقول : ان أمم الاسلام المستقبلة ستكون فيها جماعات مختلفات موزعات على العلوم لكل طائفة منها جماعة تدرسها ، هذا هو الذي سيكون ، وانما قلت انه سيكون لأن ذلك تكرّر مرارا في هذا التفسير والمسلمون يقرءونه ، فهم لا جرم سيقومون بهذا الأمر وهو توزيع العلوم على جماعات مستعدات للدرس الخاص ، فأنا من هذه الوجهة مطمئن على تلك الأمم الاسلامية المستقبلة ، إنما الذي أريد أن أسأل فيه اليوم [أمران : الأمر الأوّل] ما أشاهده في مصر من أن المسلمين قد جعلوا قراءة القرآن ذات هيئة خاصة في ولائمهم وأعراسهم وختان أبنائهم ، وكذلك اذا استهلت أطفالهم بالولادة ، أو مات أحياؤهم ، فاني أراهم قد جعلوا أناسا اختصوا بالقراءة في هذه الأحوال بأجر معين ، فالولادة والموت وولية العرس والختان وغيرها كل هذه يقرأ القرآن فيها أناس مختصون ، فالقراءة حرفتهم والناس يسمعونها لا سيما اذا كانت تلك

بصوت حسن ، فهل هذا من الذكر المذكور فى الآيات ؟ هذا هوالأمر الأوّل . أما الأمر الثانى فهومانسمعه عن الصوفيـة أونقرؤه فى كتبهم من ذكر آيات أشبه برموز لبعض المعانى الدقيقة ، فهذا أيضا من الذكر المذكورفى الآية إذ يقول : « فهل من مدّكر » وكيف يكون ذلك الذكر ؟ واذا كنا مأمورين أن نذكر آل فرعون وعاد وثمود وغيرهم من الأمم البائدة أفلا نتذكر ونتدبر أمر هؤلاء الأولياء الذين هم أقرب إلينا وكتبهم بين أيدينا ومن هم أحياء الآن وهكذا قراءة القرآن المتقدّمة فى الأمر الأوّل فيجب علينا أن نتذكر ونتدبر فى أمر هـذه كل بحسب حالها فما كان منها ضارّا اجتنبناه ، وما كان منها نافعا قبلناه ، ومما قرأته من كلام هؤلاء الصالحين ماجاء فى كتاب [دررالعواص ، على فتاوى سيدى الخوّاص] تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، فهذا الكتاب وغيره يقرؤه المسلمون ويجدون آيات لامناسبة بينها و بين المعانى التى سيقت الآية لأجلها ، فهل هذا ادّكار أم هو أمر لايليق بكتاب الله ؟ فههنا يجب تمحيص الحقيقة لأن هذا الزمان زمان مبدأ ظهور الحقائق ، ومن ذلك ما يقوله الصالحون ، ومنه ماهو مشاهد فى عمل العامّة فى الأمر الأوّل ، فالذى نشاهـده فى مصر من قراءة القرآن يحب درسه ، والذى نسمعه عن الأولياء يجب تمحيصه بقدرالامكان ، ولقد جاء فى كتاب [درر العواص] ماخواه :

(١) أوّلا : ان الشيخ الشعرانى سأل الشيخ الخوّاص الذى كان رجلا أميا لايقرأ ولا يكتب عن الخواطر القبيحة هل تقع للخواص كما تقع للعوام ؟ فقال له . كلا . إن الخواص لا يشاركون العامة فى خواطرهم التى تطرقهم ، ووصف أكمل الخواص بأنه له الصيب الأتمّ من مقام العبودية لأنه منزه من أن ينحصر فى وصف دون آخر من حال أومقام ، قال تعالى : [يا أهل يثرب لامقام لكم] . هذا كلام الخوّاص للشيخ الشعرانى ، ثم استمرّ صاحبى فى حديثه قائلا : أين الآية وأين الكلام فى وصف العارف ؟ هل معنى الآية ينطبق على ذلك ؟ والآية فى واد ووصف العارف فى واد آخر هل هكذا يكون التذكر ؟ وهل هذا تيسير القرآن للذكر ؟ وهل يكون ذكر القرآن بأمور هو براء منها ؟ فأين الثريا وأين الثرى ؟ مدينة يثرب معروفة ، والآية سيقت لأحوال العارف ، والقصة فى غزوة الأحزاب ، وفى سورة الأحزاب ، كل هذه أمور متناقضات لابدّ من تمحيصها حتى نفهم هذه السورة وكيف يقول الله : [ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر] . أهكذا يكون تذكر الخواص من أمّتنا ! .

(٢) يقول الشعرانى : سألته رضى الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم : [الجنة تشتاق إلى أربع : علىّ ، وعمار ، وسلمان ، و بلال] ماحكمة تخصيص هذه الأربعة ؟ فأفاده الخوّاص بأن العلوّ والعمارة والسلامة من الآفات والبلله ، وهى برد القلب من خطور زوال ذلك النعيم ، هذه المعانى الأربعة هى أركان نعيم الجنة ، وانهم لاينمّ نعيمهم إلا بها ، وهؤلاء الأربعة هم الموكلون بالأنهار الأربعة التى هى مظاهر العلوم والأعمال المكسوبة والموهوبة .

(٣) ثم قال : ويوضح ذلك [وان الدارالآخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون] فأين علىّ وعمار وسلمان و بلال .

(٤) وأين أنهار الجنة والعلوم والمعارف والأعمال المكسوبة والموهوبة ؟ وأين هؤلاء أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وآية : [وان الدارالآخرة لهى الحيوان] أمور متباعدة قرنت معا .

(٥) وسأله عن حقيقة الشجرة التى أكل منها آدم عليه السلام فقال هى الأفعال المقابلة لما عليه الأنبياء وكمل ورثتهم من كمال الأفعال والأخلاق ، والسرّ فى ذلك اظهار منة الله على العبد ، وحلمه عليه

لاغير ، والكل منه واليه ، لكن لايخفى تفاوت الناس فى الذنوب ، فربما كان ماتقرّب به عبد يتوب منه عبد آخر ، فأين الشجرة التى فى الجنة ؟ وأين أفعالنا نحن المعايرة لأخلاق الأنبياء ؟ وكيف يجعل الأكل من الشجرة نفس ذنوبنا نحن وأعمالنا ؟ هذا أمر غيرمايقول القرآن ، فهل هذا ذكر ؟ وهل هذا ينطبق عليه قوله تعالى : « فهل من مدّكر » فأين الادّكار هنا ؟ .

(٦) وسأله الشعرانى : أيصغى لمدح من يمدحه ؟ فأجاب بقوله : لاتركن قط إلى من يمدحك فان النفس تألف ذلك وأنت لاتشعر ، وكل شىء ألفته نفسك تخلعت به عن اللحوق والتخلق بآداب العبودية التى من شأنها فقرك دائما وغنى ربك دائما ، إذ لا كمال يدّعيه الانسان إلا وهو فى الحقيقة لله وهو فى ذلك منازع لأوصاف الربوبية من حيث لايشعر ، فحاله كحال فرعون والنمروذ وسواه ، حيث ادّعيا مالبس لهما من صفات ربهما ، وكان ذلك سببا لهلاكهما ، وقد وقع التوبيخ الإلهى لمن يدّعى مالبس له بقوله تعالى : « وماخلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون » . وقال : « يامعشر الجنّ والانس ان استطعتم أن تنفدوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » كل ذلك جاء اعلاما للعبد أن ينتبهوا لأنفسهم ويعترفوا بالعجز والذل والمسكنة ، وأن لايتعدّوا صفات العبودية التى خلقوا لها ، والله أعلم اهـ — ثم قال صاحبى : فأين آية يأمرنا الله فيها بالعبادة وترك مدح المادحين ؟ أفليس هذا اتساع فى معنى الآية غير مألوف .

(٧) ثم قال : وقد سألته بلسان الافتقار عن الأحدية السارية فى الوجود ، ولشدة ظهورها مع صفائها (ظهور الأحدية وصفاؤها قد ظهر بعض سرّها فى سابق هذا التفسير) فأجاب بقوله : [ألهاكم] ثم سكت وقال [كم] ثم [التكاثر] ففهمت ، فأين آية [ألهاكم التكاثر] ومعنى سرّ الأحدية التى ظهرت فى كل مخلوق ، ولكن غفل عنها أكثر الناس مع أن الآية واردة فى التكاثر فى الأموال والأولاد ، ووحدة الله السارية فى الوجود المشرقة للخواص أمر آخر غير الوارد فى الآية .

(٨) ثم سأله عن سبب تنوّع طرق الأولياء وكثرتها مع ان المطلوب عند الجميع واحد لاتصح فيه القسمة ولايقبلها . فقال : إنما تعدّدت الطرق لتعدّد القوابل والاستعدادات لأنه لايدرك الانسان بصفة واحدة أبدا ، ومحال أن يوجد الحقّ عند واحد ويكون مفقودا عند آخر كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : « كل يوم هو فى شأن » واليوم هو الزمن الفرد الذى لايدرك ، وكذلك أشار إليه قوله تعالى : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما » فان الرحمة غير الذات والعلم صفتها ، فآية : « كل يوم هو فى شأن » واضحة فى نظام هذه العوالم ، أما تنوّع المعارف على حسب الاستعداد فذلك مسلك آخر .

(٩) ثم سأله عن خشوع الذاكرين الذى يذهب حالا بعد تمام الذكر ، لماذا يذهب سريعا ؟ فأجابه بجواب واسع أدخل فيه مسألة كرامات الأولياء ، وأن كثيرا منهم تميل نفوسهم إلى الكرامات ليرتفعوا على أبناء جنسهم ، وهذا من حب النفس ، والحق لايدرك لمحة النفس وتكثرها وتلصصها على مراتب الأولياء وانما يدرك تعالى به فصلا . ومنه : « هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم » . فسأله ما ملة أبينا ابراهيم ؟ قال التسليم والاهويص لله رب العالمين ثم قال له : ان ستر حالك عنك الآن خير لك ، لأن من أعطى شيئا من محسوسات النفوس فى هذه الدار نقص رأس ماله وخرج من الدنيا خاسرا ، اللهم إلا أن يعطيه الحق ابتداء من غير ميل للنفس ، فذلك محمول عن صاحبه ، إلى أن قال : وإياك أن تميل إلى شىء تألفه النفس فان السم

معه ، ولا يعين السم إلا النفس ، وانظر إلى قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » مع علم آدم عليه السلام بها حال تعليمه الأسماء ، فلما أراد نفوذ قضائه وقدره ألف بينه وبين من كان سببا لأكله من الشجرة وليست إلا حوّاء الخ .

قال صاحبي لي : فأين ميل النفس إلى الكرامات ؟ وأكل آدم من الشجرة ، وأين آية « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » الخ من مسألة ميل النفس إلى الكرامات وظهورها للناس ، هذا ما أردت سؤالك عنه اليوم فأرجو الاجابة ؟ فقلت غدا ان شاء الله عسى الله أن يأتي بالفتح من عنده وهو الفتاح العليم .

***

حضر صاحبي في الغد وأخذ يطالبني بالاجابة على ماسبق في المجلس السابق فقلت له : إن سؤالك أمس يرجع لأمرين : الأوّل قراءة القرآن المعروفة اليوم بين المسلمين في الطرقات وفي المنازل والمقابر وفي الختان والولادة والموت وما أشبه ذلك ، وجوابه أن أقول :

أيها الأخ الذكيّ : لقد كنت أيام الشباب أقف وأنا مدرّس بمدرسة الجيزة الأميرية على شاطئ ترعة هناك وسط المزارع الجميلة ، وأفكر في أمر الديانات واختلافها وكثرتها ، ثم في أمر الفرق الاسلامية وتشعبها وأقول : كيف يكون من الديانات مايحصر الفكر ويضرّ العقل ، ومنها مايسرع برقيّ الأمم ، ومن الديانات ماهو أرفعها وأصلحها ولكن أهله جاهلون فيرجعونه لطريقتهم ، ويجعلونه على حسب مألوفهم ، فما كدت أتمّ ذلك حتى رأيت الجواب في الحقول ، وكأن الزرع والسجر تخاطبني قائلات : اننا نحن ثلاثة فرق : فرقة للغذاء وفرقة للدواء وفرقة للهلاك ، فأكثرنا غذاء ، وأندرنا للهلاك بالموادّ السمية ، والقليل للدواء . القمح للغذاء الخروع للدواء ، الموادّ السمية للهلاك ، ولكل منا مزية خاصة لفائدة شريفة ، وحذف أحدنا من الوجود نقص في الطبيعة وخلل في النظام .

ثم انظر إلى هذه البرك والمستنقعات : ألست ترى فيها حشرات وهوامّ وحشائش قذرة في مائها الراكد ومع ذلك تكون هذه الحشائش مأوى لتلك الحشرات وتلك البرك ومافيها زينة لتلك الحشرات ومرتع وغذاء ومتاع إلى حين ، إن البرك ماؤها ضارّ ولكن أصله من ماء النيل السعيد المبارك ، فما مثل الديانات إلا كمثل النباتات اختلافا ، فلكل أمة عقائد ألفتها وان كانت باطلة ، ونحل ورثتها وان كانت عاطلة ، وملل اعتنقتها وان كانت منحرفة ، وهذه العقائد كلما كثرت فيها مناهج الأخلاق كانت أقرب إلى اصلاح تلك الأمم ، وكلما كثرت الخرافات والضلالات والتواكل كانت أقرب إلى الاهلاك والتدمير ، والأولى أشبه بالقمح ، والثانية أشبه بالسم في النبات ، ولهذه نتائج في النظام العام العقلي كالنتائج المرتبة على النظام النباتي ، والنظامان متناسبان المادّي والعقلي .

وأقول الآن : مامثل قراءة القرآن في الطرقات وعلى المقابر وفي حال الختان والولادة والموت وولائم العرس إلا كمثل تلك المستنقعات والبرك التي انقطع السيل عنها وتكاثرت فيها أنواع الميكروبات والحشائش والمياه القذرة وصارت تنفع لأدنى الحشرات واطعام الميكروبات ، واذا أكلت منها الدواب استصرّت بالأكل منها وأهلكت بعضها ، فهذه فيها منافع للحشرات ولبعض الحيوانات وللانسان فانه يصطاد منها السمك ويقتات به . ولكن سوائمه قد تعرض للخطر بالأكل من تلك الحشائش ، حتى ان الفلاحين في بلادنا المصرية يقولون [فلان جاموسته معشوشة] يريدون بذلك انهم يجدون بعد ذبحها في بعض أحشائها أنواعا من الدود والحيوانات الرخوة . كانت تهلك جثمانها في حال حياتها ، فهؤلاء الفلاحون اذا طلوا عاكفين على ماهم عليه والذي ألفوه فانهم يأخذون في الاقتراض والذل والخضوع ، ولكنهم اذا أصلحوا ترعهم وقناطرهم ،

وسارعوا إلى ادخال ماء النيل فى مزارعهم فان الوباء يخف ، والضرر يزول ، وتصلح أرضهم للزرع ، وعقولهم إلى العلم ، ونسلهم إلى الكمال ، هكذا هذه العادات الموروثة عند بعض أمم الاسلام كأمتنا المصرية فانها اتبعت دين الاسلام الذى نزل فى جزيرة العرب ، وجعله أجدادنا ، وعملوا بقوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ورفع دولهم أيام الصحابة والتابعين ، ولما زال ملك الأمويين وحلّ محلهم العباسيون ، وجعل القرآن أمم غير عربية كالفرس والترك ، وذلّ الناس وخضعوا للترهات ، وتقلص ظلّ الدين ، وأصبح رسوما مرسومة ، وأقوالا محفوظة ، وطرائق مخصوصة ، ونزع لبها ، وحفظ قشرها ، هنالك أخذ الناس يقلدون الآباء وهم يجهلون علومهم ، ويحفظون القرآن بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير .

فقال صاحبي : إذن أنت تقول ان قراءة القرآن على هذه الشرائط وفى تلك الأحوال المعتادة فى أمثال بلادنا المصرية غير مجردة ؟ قلت : انى قد أوضحت بضرب المثل ، وأقول أيضا : إن قراءة القرآن على هذا النمط لها نفع مّا ، فان الأموات اذا أحسوا بأن الأحياء يذكرونهم حصلت لهم مسرّة بذلك ، واذا قرئ القرآن لأجلهم زادت مسرّاتهم ، هذا حسن ولكن يظهر لى أن هذه الأمة نسيت أصل دينها ، دينها إنما نزل لتذكر الأحياء وتعليمهم ، وترقيهم واصلاح شئونهم لا إلى الأموات ، وغاية الأمر أنهم لما ماتت نفوس الأحياء حوّلوا القرآن وقراءته للاموات ، فقد فعلوا فى أنفسهم ماحكاه لى أحد نظار المكاتب المصرية قبل الاستقلال الداخلى لبلادنا المصرية فى أيامنا هذه ، إذ دخل مفتش انجليزى المدرسة الأولية ، وأخذ يسأل هل عمل ناظر المدرسة بتعليماته ؟ وماهى تعليماته ، انهم فى ألعابهم يمثلون الميت محمولا على النعش وهم يضحكون ويفعلون قدّام نعشه ووراءه مثل مايفعله الفقهاء من الترتيل والأقوال المعلومة تدريبا لهم على الاستخذاء والاستجداء والذلّ والمهانة ، واتباع الجنازات ، وتعليما لهم أن يكون مايحفظونه من القرآن وسيلة لجلب الرزق من هذه الناحية إحياء للذل والجهل واماتة للنخوة والعلم ، فهذا تدريب لهم فى حال الصغر منه يضحكون لينشطوا فى دروسهم ، حتى اذا كبروا لم يعوزهم كبير عناء فى الاستباق الى اتباع النعش ، وتحصيل أجور المشى فى تشييع الأموات إلى قبورها ، ومقاضاة الأحياء فى أجورها ، وهذا قصد جميع المستعمرين ، والمستعمرون على قسمين قسم هذا شأنه وهو ظاهر فيما تقدم ، وقسم آخر استعماره خفىّ ، وهو استعمار الجهل الذى حاق بالأمم الاسلامية دهورا ، وأناخ بها قرونا ، فأذل الأبناء وأضرّ البلاد ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، وهذه الطوائف بقيت فى مصر مثلا جعلها الله لنا تذكرة كما جعل اللغة الهيروغليفية عند الأقباط بمصر فى أديرتهم ومحالّ عبادتهم ، يقرءونها تعبدا لأجل دينهم ، وهم منهمكون فيها حتى اذا جاء [شامبليون] العالم الفرنسى وحلّ هذه اللغة وألغازها ، وأعانه على ذلك هؤلاء العباد (بتشديد الباء) فنشرها فى العالم كله ، وانتفعت نفس مصر بهذا العمل ، هكذا هذه العادات الموروثة وقراءة القرآن على هذا النمط انما أبقاها الله إلى أيامنا هذه لفعل مافعلته بلادنا المصرية إذ ردمت المستنقعات ، وروت البلاد بماء النيل ، وحوّلت تلك البرك إما إلى مزارع نضرة يسقيها ماء السيل ، واما إلى بيوت وحدائق وجنات وأعناب وفواكه ، فسيحوّل المسلمون بعدنا تلك المقابر وعاداتها إلى أن يقيموا فى تلك الأوقات وعاظا فضلاء ، مدرّبين على إلقاء المواعظ الحسنة ، فيقفون وسط الجموع فى ولائم أفراحهم ، وحتان أطفالهم ، وأيام الولادة ولوفاة ، ويلقون لهم المواعظ مستشهدين بالقرآن الذى ألفوا سماعه فذلك خير وأبقى ، وذلك كما حوّل أهل بلادنا البرك إلى مزارع وحوّل شامبليون الفرنسى اللغة الهيروغليفية المحنوطة فى هياكل العبادات إلى لغة تحلّ بها الرموز وتظهر بها الكنوز العلمية ، والأسرار الحكمية ، المودعة فى النواويس المخبوءة فى المقابر والمرامى والاهرامات . وفى صناديق الأموات وعلى حيطانها ، والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين .

فقال صاحبي : الله أكبر ، إني رأيت اليهود والنصارى يفعلون ذلك في محافلهم ومجتمعاتهم ، فيقوم خطيب واعظ يذكرهم بما في التوراة والانجيل . فقلت : إن هذه أمم قد ترقت في العلم قبلنا في هذه الأيام ففعلوا ذلك بعقولهم ، وقد كانوا في غفلة مثلنا ولذلك ارتقوا عنا وان كان دينهم منسوخا ، ونحن بعون الله سنرتقي سريعا ، ويكون ارتقاؤنا أسرع من ارتقائهم ، لأن ديننا أرفع الأديان ، وهو الناسخ لها إلى آخر الزمان « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فقال صاحبي : إن هذا المقام جليل وبديع ، وهذا التشبيه الذي بنيت عليه الجواب بديع قد أظهر الموضوع وجلاه فأصبح واضح المحيا جميل المظهر بديع المخبر ، والحمد لله على نعمة العلم والحكمة ، إنه هو السميع المجيب وأرجو الشروع في الاجابة على الأمر الثاني وهي الحكم الملقاة على ألسنة الصالحين والأولياء . فقلت : قد تقدم الكلام على ذلك في هذا التفسير في [سورة يونس] عند آية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الخ فارجع إليه هناك إن شئت .

اللطيفة الثانية

في قوله تعالى : إنا كل شيء خلقناه بقدر

القضاء والقدر [1]

لهج الناس في كل زمان ومكان بذكر القضاء والقدر ويقولون ان الله يقول : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » واذا كان كذلك فلم العذاب ولم العقاب والعتاب ؟ ثم انه رحمن رحيم ، فأين الرحمة للمعذبين ؟ وأين السعادة للمظلومين ؟ ولم هم في عذاب الجحيم ؟ .

هذه حال الانسان على أي ملة كان ، وأي دين في مشارق الأرض ومغاربها ، حيرة لاحد لمداها ، وأسئلة لا جواب عليها إلا من أناس صفت نفوسهم وعلت عقولهم ، فيكونون في نوع الانسان أشبه بالعين ، هذه صورة مطبقة على أهل هذه الأرض أجمعين ، فهاك أيها الذكي فاستمع ما ألقيه الساعة إليك بقلب صاف ونفس واعية وتدبر فانه لهذا الداء دواء ، ولعرض الحيرة في القلب شفاء ، وكن من المستبصرين .

لأضرب لك أولا مثلا برجل مهندس عبقري في الهندسة ، عزم على أن يبني بيتا ، وهو بأنواع البيوت عليم ، فكر في صورها بعقله وانتزع منها صورة صورها في نفسه واصطفاها لمسكنه ، ثم رسم ما اختاره وبناه وشده على أحسن منوال وأجمل مثال ، وفي البيت فرش مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، وعلى حيطانه أنواع الصور المختلفة الأشكال ، البديعة الجمال ، ويحيط به بستان تقر به عيون الناظرين ، ويسر بمرآه جمهور الزائرين ، ودخل البيت زائرون منهم العميان ومنهم المبصرون ، ولما كان هذا المهندس كريم الشيم ترك للزائرين الحرية أن يدوروا في البيت كما يشاءون ، ويمروا على فرشه ونمارقه وأشجاره وهم آمنون ، فانطلق أحد العميان في المنزل ، فاصطدم في أرض الحجرات بالأرائك ، فخر على الأرض كالصريع ، وما كاد يقف حتى لطمته الألواح المعلقات فأدمت أنفه ، وما كاد يمسحه أو يغسله وقد مشى خطوات حتى سقطت رجله في المرحاض فقعد حزينا كئيبا وأخذ يقول : إن رب هذا البيت رجل عظيم ورحيم ، فكيف جاء طي فيه ؟ فأين الهندسة والنظام ؟ وأين الكرم والرحمة للزائرين ؟ ولم يزل كذلك حتى جاءه رجل مبصر فأخذ يشرح له دقائق البيت وما فيه من الجمال وحسن الاتقان ، ففرح أشد الفرح

(١) هذا المقال لسيدي [محمد الفرقة] تلميذ المؤلف .

وقال

وقال هذا هو النظام ، وهذه هي الرحمة والاحسان . هذا أيها الذكيّ هو المثل الذي ضربته لبيان هذا المقام . إن [علم المهندس] بنظام البيوت واصطفاءه منها واحدا هو أجلها ضرب مثل للقضاء ، فالقضاء راجع لما ثبت في العلم القديم للمكوّنات ، وابراز البيت على ماقدّره المهندس في نفسه على أحسن منوال ضرب مثل للقدر لأنه راجع لظهور المخلوقات على ماسبق به العلم القديم .

[العميان] ضرب مثل لجميع الجهلاء على أيّ دين كانوا ، ولطائفة الملحدين والمتعلمين تعليما ناقصا في مدارس الشرق والغرب أجمعين [والمبصرون] ضرب مثل لأناس جادت قرائحهم ، وزكت نفوسهم ، واشتدّ شوقهم للعلم والبحث فلم يكونوا كأولئك العميان يهرفون بما لايعرفون ، فدرسوا هذه الدنيا دراسة متقنة من الرياضيات والفلك والطبيعيات ، وأدركوا بصفاء عقولهم جمالها وبهاءها ، ثم رجعوا إلى إخوانهم وأخذوا يخاطبونهم بما يفهمون ، ويكلمونهم بما يعقلون ، وسعدوا سعادة لاحدّ لمداها وكانوا من الفائزين ، وهؤلاء يقال لهم : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فاذا سمعوهم يتحدّثون في القضاء والقدر يخاطبونهم قائلين : أيها الأعزاء : ليس لامرئ أن يقصر في عمله محتجا بالقضاء ، فتلك حجة الكسالى الغافلين ، فاذا ما أتمه على حقيقته واجتاحته الجوائح فهنالك يقول : القضاء سلوة المنكوبين وراحة البائسين ، إن هذه المسألة ليست بنت اليوم ، ألم تروا كيف يقول الله حكاية عن كفار العرب أيام البعثة : « وقال الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » فردّ الله عليهم مهدّدا بالوعيد فقال : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظنّ وان أنتم إلا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين »

ونقول : كما قامت حجة المهندس رب البيت على الأعمى ، هكذا تقوم حجة الله على من يخوضون في القضاء والقدر وهم جاهلون ، إن الأمم التي فتحت على نفسها باب القضاء والقدر هي التي قد استعدّت للفناء وباءت بالوبال ، ونسيت عقولها ، وعدّتها حملا ثقيلا عليها ، لأنهم على الشهوات عاكفون ، وفي غمرة الجهالة ساهون ، وكيف يفتحون هذا الباب وهم يجهلون ؟ وأنى للعميان أن يدركوا محاسن الجمال في الفتيات والفتيان ؟ إن المسلم الذي شغله القضاء والقدر وهو بعد لم يدرس نظام الدنيا وعلومها لحريّ به أن يبوء بالخسران ، فهذه الطائفة في الدين أشبه بأولئك الذين يجلسون في أماكن الشرب العامة ببلادنا المصرية ، ويدور كلامهم على سياسة الدول وأسرارها وهم يجهلون سياسة منازلهم وأمتهم ، فهم في ذلك مغرورون .

إن الناس ثلاث طبقات : عامة مصدّقون ، وحكماء محققون ، ومتوسطون بين هذين مذبذبون متحيرون فالفريقان الأوّلان مطمئنون ، والفريق الثالث جعلت حيرته مهمازا يسوقه إلى البحث ، فاذا قصر فهو في ضلال مبين ، وكيف يخوض في القضاء والقدر من يجهل تشريح جسمه وبدائع تركيبه ، وأن في كل عين من عينيه سبع طبقات وثلاث رطوبات ، ومن الطبقات السبع طبقة تسمى الشبكية ، وهي لاتزيد في سمكها على سمك ورقة الكتابة ، وهذه وحدها فيها ثلاثة ملايين مخروط وثلاثون مليون اسطوانة ، وهذه كلها مبينة بالتصوير الشمسي واضحة ، وبهذه الملايين يكون الاحساس والنظر . بعد كتابة ماتقدّم في هذا المقال وجه إليّ أحد الأصدقاء اعتراضا جاء فيه مايأتي :

إن هناك فرقا بين المثل والممثل له فان المهندس ربّ البيت ليس مسئولا عن العمى فليس من حق الأعمى الذي حصل له الألم بنتج رأسه أن يقول له لم كنت أعمى ؟ لأن المهندس لاسلطان له على عين الأعمى ولكن الممثل له غير ذلك ، فان الذي أصبح متشككا متحيرا هو نفسه من صنع الله ، واذن فالاشكال باق ، والمسئلة على حالها ، والمثال لايجدينا نفعا ، فأمّن الحاضرون على كلامه . فقلت : لا اشكال

لا اشكال ، فقال الحاضرون : أين أين البرهان ؟ فقلت : هناك أسرتان : أسرة كبرى وهى نوع الانسان ، وأسرة صغرى وهى المعروفة ، ألستم ترون فى الأسرة الصغرى أن صاحب المنزل هوالذى يديره ، وأن الخدم لا اعتراض لهم عليه فى الغالب ، وأن أطفاله لايفقهون شيئا مما يفعل أبوهم إلا بالتدريج ؟ قلوا نعم . قلت : فهل وجود الأطفال مع جهلهم المطبق بنظام المنزل يعتبر عند العقلاء خللا وظلما ؟ قالوا . كلا . بل الأطفال نعمة وعدم وجودهم يعتبر نقمة . فقلت : إن العامة فى العالم الانسانى يمثل لهم بالخدم ، لأنهم يعملون ولا يفكرون إلا قليلا ، وأما رب البيت فهوضرب مثل لصانع العالم ، وأما الأطفال فيمثل لهم بالطبقة الوسطى من المتعلمين الذين ارتقوا عن العامّة قليلا وفكروا فى نظام هذه الدنيا ، فهؤلاء أطفال الانسانية ، والأطفال خلقوا ليجلسوا محل آبائهم وهؤلاء هم المتعلمون تعلما ناقصا ، فهؤلاء اذا أحسوا بحيرة فهذه الحيرة نعمة لا نقمة لأنها تدفعهم إلى استيعاب العلوم ليصيروا حكماء فاذا كسلوا وناموا كما هى الحال عند كثير من المتعلمين الحاليين فانهم لاجرم يحيون حياة كلها اضطراب ، ويرجعون القهقرى ، وتكون الشهوات سلوتهم الوحيدة ، وهذا هوالسرّ فى تأخر بعض أمم الشرق التى كثر العلم فيها ولكن لا استقلال لها لأن الرجال القائمين بأمرها يبنون حياتهم على أساس علمى غير مكين ، فهل وجود أطفال الأمم خلل فى النظام ؟ قالوا . كلا . لأنهم يبحثون عن الحقائق كأطفالنا . قلت : إذن العميان فى مثل المهندس رب البيت ضرب مثل لهؤلاء باعتبار نقصهم ، وخلق الناقص المستعد للكمال حالا أوما لا عدل وحكمة وكمال ، فقالوا نعم ، فقلت الحمد لله إذعرفتم الحقيقة . انتهى

هذا ما كتبته فى [مجلة المعرفة] تفسيرا لقوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وان أردت أيها الذكىّ الزيادة فاقرأ ما كتبته فى [سورة الفرقان] عند آية : « وخلق كل شيء فقدّره تقديرا » والى هنا تمّ الكلام على اللطيفة الثانية ، والحمد لله رب العالمين .

اللطيفة الثالثة

فى قوله تعالى : وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر

يقول تعالى خلقنا كل شيء مقدّرا مرتبا منظما على مقتضى الحكمة ، وقد كان مكتوبا قبل ذلك فى اللوح المحفوظ معلوما عندنا ، فمتى أردنا أمرا ممّا من أمورنا التى قرّرناها فى علمنا ، وقدّرناها فى لوحنا المحفوظ فاننا نفعله فعلة واحدة ، ونوجده بلامعالجة ولامعاناة ، فقدرنا سابق ، وقضاؤنا لاحق ، ولاقضاء إلا وهومرتب على القدر السابق ، وقولنا [كن] هو القضاء . واعلم أن فى أمم الاسلام السابقة قوما يقال لهم القدرية ، وهؤلاء يقولون : « إن الله لايعلم الأشياء قبل وقوعها ، وكل ما فى الوجود مستأنف لم يعلمه الله فيما مضى ، ولكنه يعلمها بعد وقوعها لاغير » فهم سموا قدرية لانكارهم القدر ، وقد قال أصحاب المقالات من المتكلمين : إن هذه الفئة قد انقرضت ، ثم قالت طائفة بعدهم : الخير من الله والشرّ من غير الله ، وهؤلاء كالمجوس الذين ينسبون الخير إلى [يزدان] والشرّ إلى [اهرمن] والخير يرجع إلى النور . والشرّ إلى الظلمة .

جمال هذا المقال

اعلم أن الله عزّ وجل عم قسم خلقنا أنا لايتسنى لنا الوقوف على حقيقة التكوين ولا بدائع القدرة ، لجعلنا نحن اشبه بمن مضروب لذلك ، ألاترى رعاك الله أن هنا [ثلاث مراتب : المرتبة الأولى] العالم كله [المرتبة الثانية] الانسان الواحد [المرتبة الثالثة] القوى الذهنية فى الانسان .

هذه

هذه هى المراتب الثلاث فى الوجود ، فالمرتبة الأولى والمرتبة الثانية من فعل الله عزّوجل ، أما المرتبة الثالثة فهى من فعله بواسطة أنفسنا .

جلّ الله ، الله أكبر : المرتبة الأولى العالم كله من العرش إلى الفرش هيكل واحد ، وهذا الهيكل نشاهد فيه أجسامنا وصورا شتى لاقبل لنا بحصرها ، وهذه الكواكب التى لايحصرها العدّ ، والمجرّات والسدم التى أصبحت تعدّ بالملايين ، وكل مجرّة وكل سديم يحوى من الشموس ومماهو فى حكم الشموس مايعدّ بالملايين ، وتلك الشموس إما كشمسنا أوأكبر منها أوأصغر ، وكل هذه نشاهد لها حركات منتظمات ، وهكذا كل ما على أرضنا ، ومافى جوّنا ، ومافى بحارنا من المخلوقات كلهنّ ذوات أفعال منتظمات مقدّرات منظمات باعتبار خلقها ، ولاجرم أن هذه الأفعال والصفات والأصباغ إنما كانت بفعل عقل وحكمة فلنسمّ ذلك عقلا عاما ، وهذا العقل العام لايمكن انكاره ، لأنا نشاهد آثاره المنظمة وأفعاله الجليلة .

أما المرتبة الثانية فهى الأجسام الحيوانية والنباتية ، وأخص ذلك كله جسم الانسان ، فله أفعال إرادية وله جسم كما أن العالم كله جسم وروح .

أما المرتبة الثالثة وهى قوانا العقلية التى تحت تصرّفنا نحن فانها تصوّر لنا ماشاهدناه أوعلمناه .

ياعجبا ياربنا وألف عجب ! لاتكاد نفسى تتوجه للمجرّات ، ولا للشموس ، ولا لحبيب ، ولا لعدوّ حتى يحضر فيها كلمح البصر ، فلندرس هذه القوى التى فينا فانها كافية لنا فى فهم لغز الوجود ، وأنا أحسّ بصور لاعدد لها ، صور تضارع صور هذا العالم المشاهد ، فأرى الشمس فى مخيلتى مثل مارأتها عينى ، وهكذا الأرض والسماء ، ومتى تصوّرت صورة حسنة أوقبيحة أومؤذية أونافعة ظهرت فى نفسى آثارها ، وقد أتصوّر انسانا يؤذينى فأشعر فى الحال بغم وتجديد عداوة وحقد وضغن ، وقد يتصوّر المرء صورة ذات جمال فتهيج شهوته ، إذن الصور الخيالية الحادثة فى أذهاننا تبعث تارة على الشهوة وتارة على الغضب ، وهذان عالمان لامنبع لهما إلا خيالنا ، وهناك عوالم أخرى فى الذهن ، ولكنى من جهة أخرى أحسّ فى نفسى بعالم آخر أرقى من هذه العوالم ينهى النفس ويقول لها : اطردى صور الأعداء ، واطردى صور الشهوات ، ويتحكم فى هذه الصور ويقرب ويبعد .

إن فى الذهن لصورا كثيرة من فريقى الغضب والشهوة والجمال والشجاعة وأضدادها ، وهذه الصور خاضعة لتأثير مؤثر نسميه القوّة المفكرة أوالعقل وهكذا ، إذن هما أمران : أمر هو كالصورة الجسمية ، وأمر هو كالروح ، فالذى هو كالصورة هى الخيالات ، والأمر الذى هو كالروح هو الفكر . ثم تنظر فترى هذه القوى الذهنية لها السلطان المطلق على الحواس ، ومن الحواس البصر ، والبصر يرى الصور على الشبكية فالشبكية هى التى تقيد الصورة وتوصلها إلى القوّة الباصرة فى الدماغ فيراها الانسان ، وما الذى رآه ؟ هو لم يرَ إلا صورة مرسومة دلت على صورة فى الخارج ، فالمرئىّ حاصل داخل العين ، وهذه الصورة أقرب إلى الروحانية ، وهى دالة على الصورة الجسمية الخارجية : أى ان مافى النفس مطابق لمافى الخارج ، إذن المعلوم ماملكته النفس فيها ومافى الخارج مطابق له ، إذن البصر فى لمحة يرى صورة أقرب إلى الروحية دلت على مايطابقها ، وهى الصورة الخارجية فى لحظة صغيرة من الزمان ، فلننظر فى سير هذه الصورة فنراها أصبحت فى المخيلة ، وصارت إحدى الصور التى وصفناها بأنها صورة مؤذية أوسارّة أوشهوية أوعصبية ، ولكنها بعد أن كانت أشبه بالروح وهى فى العين أصبحت الآن فى الخيال كالجسم ، وأصبحت القوّة المفكرة كالروح . وهذا الجسم وهذه الروح اخترعتهما أرواحنا بعناية ربها ، اخترعتهما من العدم ، ليس عند روحى مادّة لتصوير صورها ، ولا مادّة ألطف لتصوير أفكارها ، هكذا فعل الله فى عالمه الكبير ، ولايعزب عن ذهنك

ماقررناه غير مرة وبيناه فى [سورة النور] أن هذا العالم لامادة فيه . كلا . إنما العالم حركات فى أمر يشبه خيالا سميناه الأثير ، وماهو الأثير ؟ هوخيال الكون ، خيال الفضاء ، وهذا الخيال قوى متين أمتن من المادة ، والحركات فيه تحدث نقطا كهربائية ، والنقط الكهربائية باختلافها كما وكيفا تتكاثف بنسب مختلفة لاحصر لها فتظهر لحواسنا على هذه الصور المشاهدة ، والا فالحقيقة أن هذه العوالم ماهى إلا نور مضغوط مكبوس تبدى لعيوننا على هذا المنوال ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ العالم حركات لاغير ، وهذه نظرية [انشتين] والحركات تنقلب نورا ، وهذا النور هو هذه الدنيا ، و بتنوع النور يكون جمال لاحد له ذوبهجة ، وهذه الصور الحادثات فى العوالم منها ماينفعنا ومنها مايضرنا على قياس الصور الذهنية . وملخص هذا المقام مايأتى :

(١) كما أن الصور الذهنية لامادة لها هكذا الصور التى فى خيال الفضاء .

(٢) وكما أن الفكر ماظهر إلا من أرواحنا بلاواسطة هكذا الأرواح منبعثة من العناية الإلهية خلقا أوليا ، ونظيره فى ذلك أفكارنا .

(٣) وكما أن الصور فى الأولى منها مايضرنا ومنها ماينفعنا ، هكذا الصور الظاهرة فى خيال العالم وهو هذا الفضاء .

(٤) وكما أنا نحن نتصرف فى الصور الخيالية بواسطة عقولنا ، هكذا نحن نتصرف فى عوالم المادة من أنواع مايعطينا منفعة ومايورثنا مضرة كالنحل والزنابير .

(٥) وكما أن فكرنا له الحرية المطلقة فى اصلاح الصور الحاصلة فى الذهن أومحوها واحداث غيرها محلها ، كذلك نحن نفعل فى أعمالنا المعتادة فى الأرض .

(٦) تشابه العالمان : عالم الأذهان ، وعالم العيان .

(٧) ومثل مارأينا فى هذين العالمين يحصل فى العالم العام .

(٨) ففى هذه العوالم نفوس وعقول نسبتها إلى هذه العوالم المادية كنسبة أفكارنا إلى صورنا الخيالية وكنسبة عقولنا وقوانا المتصرفة إلى أعضائنا العاملة كاليدين والرجلين والحواس .

(٩) وكما أن نفوسنا وأفكارنا تتصرف فى صور الخيال التى لانهاية لها ، وفى صور المادة التى لاحد لها فيما حولنا ، هكذا تلك النفوس والأرواح العالية تفعل بنظامها فى هذه العوالم العلوية والسفلية بقوانين منظمة مترتبة بقدر وحكمة ويمتد من تلك الحكمة فروع تصل إلى عقولنا فتهديها إلى صراطها المستقيم .

(١٠) المادة كلها أنوار بل حركات مضغوطات ومكبوسات ، فأجسامنا وأجسام ماحولنا ماهى إلا أنوار ذات جمال حجبنا عنه ، وهذه الأنوار حركات فى الأثير كما أن الصور المرسومات فى أذهاننا أيضا حركات أوأنوار فى الأثير ، فنحن نور يعيش فى نور .

(١١) خلاصة الخلاصة أن هذا الموضوع كله توطئة لفهم قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » والمقصود الأصلى سرعة الايجاد بعد ارادة الفعل ، وأدى ذلك إلى البحث فى أمر الصور الذهنية ، فالصور الجسمية ، فالأرواح والأجسام ، فالملائكة والعوالم كلها ، وفى غضون ذلك برزت صور من علم الأخلاق ومحاربة القوة العاقلة قوتى الغضب والشهوة ، وتنظيم صور لانهاية لها كما ينظم العقل العام صورا لانهاية لها فى العوالم كلها ، و بجهادنا للخلوص من علائق المادة نصل إلى النور الأسمى ، والحمد لله رب العالمين وهوحسبنا ونعم الوكيل . انتهى صباح يوم الخميس ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣١ م

نور على نور

حضر صاحبي العالم الذى اعتاد مناقشتى فى هـذا التفسير فقال : إن هذا المقال حسن ، فقد كان قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » وحصر التمثيل بلمح البصر فى الآية وتقريب المعانى البعيدة بما نألفه سببا أثار هـذه العجائب ، وكان لمح البصر ومايرتب عليه من صور ذهنية وأخرى خارجية مخرجا لما استكن من العلم ، وموجبا الارتقاء فى الأسباب طبقا عن طبق حتى وصلنا إلى مستوى يسمع فيه الأنبياء والملائكة صرير الأقلام المسطرات مقادير العوالم فى اللوح المحفوظ ، ولكن ألا تذكر أن هذا المقام له ارتباط وثيق وائتلاف ، بل تكميل لما تقدم فى [سورة القتال] عند آية : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » فقد ذكرت هناك رأى أفلاطون وفيه الكلام على المثل المسماة مثلا أفلاطونية ، وأن هذه المثل نبذها أرسطاطاليس بعده وقال إن العلم لا يعتمد إلا على ثابت ولا ثابت إلا المادّة وصورتها ، وأن الرواقيين الذين جاءوا بعده وكان رئيسهم [زينون] فى القرن الثالث قبل الميلاد ردّوا عليه كما ردّ هو على أستاذه وقالوا : أنت لم تبين لنا كيف يكون ارتباط هـذه المادّة بصانع العالم الذى أنت توقن به ، وما المناسبة بينهما ؟ ثم انك تقول : ان المادّة مجرّد امكان محض ، وتقول انها تشتاق للصورة ، وهذا كلام لادليل عليه لأنها اذا كانت مجرّد امكان فأين عشقها للصورة الذى تدّعيه ، وهل هى تعقل ؟ .

فلما رأى ذلك الرواقيون و بعدهم العلماء الذين جاءوا بعد الميلاد وهم الفرع الاسكندرى ، والفرع الشامى والفرع اللاتينى نظروا فى آراء الحكيمين ، فقوم منهم أكبوا على العلوم الطبيعية كالطب ، وقوم أكبوا على الرياضية ، وهؤلاء أكثرهم من الرواقيين ، ثم ان هذه الفروع الثلاثة بعد الميلاد وفقوا بين الآراء واستخلصوا خلاصة ، واليهم ينسب كل ماوصل الى علماء الاسلام كابن سينا والفارابى والصوفية ، فهذه الحيرة التى فيها وقع القوم بعد الحكيمين سببها أنهما لم يوفقا لانتهاج خطة بها يصلان إلى الطريق التى بها يعرفون كيف توجد هذه العوالم من إله لاصلة بينها و بينه ، ولا أفلاطون قدر أن يبين ، ولا أرسطاطاليس كذلك ، وهما السبب فى اختلاف الأحزاب فيما بعد ذلك . وقد نقلت من كلام [الاستاذ سمتلانه] المكتوب بخطه فى كتابه [تاريخ الفلسفة العربية] أن حكماء أوروبا لم يبرعوا فى الفلسفة ولم ينالوا من العلم إلا ما كان من قبيل العلوم الجزئية كالطبيعيات والرياضيات ، فاخترعوا وزرعوا وطاروا وحاربوا ، أما العالم الأعلى وعجائب النفس وأصل التكوين التى لأجلها وضعت الفلسفة ، والتى هى المقصود الأصلى لنوع الانسان من أبحاثه فهم فيها ليسوا بالنسبة لسقراط وأفلاطون إلا كنسبة البقة إلى الفيل ، وانهم لو عرفوا ذلك مثل هـؤلاء الحكيمين لم يكونوا إلا ملائكة .

هذا كله تقدّم فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة ، وأنت قد رفعت صوتك عاليا وقلت : إلى نوع الانسان كله شرقا وغربا : أيها الناس اذا كان [أفلاطون وسقراط] قد ضربا مثلين لأصل العوالم ، واختلف الأحزاب من بعدهم ، واذا كان الاستاذ [كانت] الألمانى قد حالف طريقهما لما رآها وعره المسالك ، صعبة المرتقى ، بعيدة المنال ، مربكة العقول ، عرج على أن يصل الانسان لصانع العالم من طريق علم الأخلاق وأبان أنه اذا لم يكن هناك إله يكون المجرم كالمحسن ، فأثبت الإله من هذه الجهة الضعيفة ، وقد نقلت أنت ذلك عن مترجم [كتاب الأخلاق] لأرسطاطاليس من اليونانية إلى العربية ، وذكرت أنت أن هذا المترجم الفرنسى (كما تقدم فى سورة حم فصلت وهى حم السجدة عند آية : إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الخ جعل أفلاطون فى الدرجة العليا والاستاذ [كانت] فى الدرجة الوسطى ، وأرسطاطاليس فى أدنى الدرجات ، كل هذا ذكرته أنت وأنا فى غير ما موضع .

ههنا رفعت أنت صوتك عاليا وقلت فى [سورة القتال] فى رسالة مرآة الفلسفة مامعناه ملخصا موضحا مشروحا بعبارة أوسع .

أيتها الانسانية : اسمعى اسمعى : إن أفلاطون وأرسطاطاليس لم تكن الأمم فى زمانهما لتعقل الحقيقة واضحة ، فأعطيا العلم للناس على مقدار استعدادهم ، وأعطى كل منهما صورة للناس يظن أنها تقبل عندهم ومضى ٢٥ قرنا انتقلت فيها العقول وارتقت الأفكار فاستعدت لقبول الحقيقة .

أيتها الأمم . أيتها الأمم . اسمعى اسمعى : إن أفلاطون لم يقل المثل الأفلاطونية وهو نائم أوساه . كلا . انه لما رأى أن المعقولات هى الفعالة والمؤثرات وماعداها لاحراك له قال مقالته ووضع قاعدته ، ولكن أنا أنبئكم بالحقيقة ، الحقيقة هى أننا لايتسنى لنا معرفة العوالم الغائبة عنا إلا بما نشاهده فى أنفسنا ، وسبب ذلك أن أنفسنا أكمل هذا العالم ، هى أرقاه لأنها جمعت العوالم الجسمية والعوالم الروحية ، ولما صور ذهنية وهذه الصور نحس بها ، هى موجودة ، نحن لاننكرها ، وهذه الصور لم تكن لها مادة تخلق منها ، ولا وجود لها إلا من أنفسنا ، فلا واسطة بينها وبين نفوسنا ، أفلا نقول هكذا فى العوالم ، إن العوالم حركات فى ضمير الكون وخيال الفضاء ، كأن صورنا الذهنية حركات فى خيالنا ، فههنا انحل الاشكال ، وفك العقال .

هذا معنى ماتقدم فى غير ما موضع لاسيما [سورة القتال] فهل لك أن تفيض فى هذا الموضوع هنا ليتم المقام و ينتظم شمله ؟ فقلت له : حياك الله أيها الأخ و بياك : ألم ترَ ما كتبته الآن ، ألم أذكر لك عشر جمل هى خلاصة ماذكرته فى هذا المقال هنا زيادة عما سبق . فقال بلى ولكنى أريد زيادة تحقيق ، نعم انك فى [سورة القتال] لم تذكر إلا الصور الذهنية الخيالية ، وهنا ذكرت الخيالية والفكرية وشرحتهما ، فتفضل لى المقال بعبارة أوضح وقول أبين ، فقلت : إن كل ما نزاوله من أفعالنا ، ونصنعه فى مدننا وحقولنا وليلنا ونهارنا لايصدر إلا عما قرّرناه فى نفوسنا .

الله أكبر : لامعنى للانسانية إلا الفكر ، لوسلب الانسان العقل لسميناه مجنونا ، فيصبح ذا غريزة كالحيوان فيأكل و يشرب و يتناسل ، وهو صنو الحيوان لافكر عنده ولاتمييز .

الله أكبر : الأرض ومافيها لاتساوى شيئا مذكورا فى نظرنا لولا ادراكنا لها ، إذن الادراك والتعقل هما أصل كل شىء عندنا ، اذا عقلنا فهناك الوجود ، واذا لم نعقل فهناك العدم ، جرد المرء من شهوة الطعام إذن لايعبأ به ، جرّده من شهوة الغضب إذن لايحارب العدوّ ، جرّده من العقل لايدرى شيئا ، فالادراك هو الأصل ، وماعداه تبع ، فالوجود كله لامعنى له إلا إذا أدركناه ، نحن علماء بالادراك ، نحن جهلاء بعدمه العالم موجود عندنا لأنا أدركناه ، غير موجود اذا لم ندركه ، لاوجود للألوان اذا لم تكن عيون ، أوكان الانسان أعمى ، لاوجود للأصوات اذا كان الانسان أصمّ ، لاوجود لهما اذا كان أصمّ أعمى ، لاوجود لهذا العالم لمن لم يحسّ بالحواس ، بعض الموسوسين ، والمرضى بالأمراض العصبية ، ومرض [الهيستريا] يسمعون أصواتا و يرون صورا لاوجود لها ولكنها تفعل فعلها فيهم وتضرّهم ضررا بليغا و يموتون ، وأنا شاهدت بعضهم ، و بعضهم يرى صورا فى الظلام ، ومن شدة خوفه يرى صورا ترعبه ، وهو مستيقظ ولايشكّ فى وجودها ، يخلع الانسان لصور وأشكال ، وجمال وقبح ، وصديق وعدوّ ، وحقل وجمل ، وهى عنده حقائق لايمارى فيها ، ولها فى ذهنه آثار ، ولها فى نفس حياته فى اليقظة بعض الآثار ، فبعضها يورث الفرح و بعضها يورث الحزن الخ دلالة على أن لها وجودا ، والشمس قدر المنخل باعتبار ماوصل إلينا بالعين لابحسب الواقع ، إذن الوجود كله الذى أدركناه يرجع إلى مارصل إلينا فى أنفسنا وماتقبلته وتصوّرته لاغير وان خالف الحقيقة ، فاننا اذ أثبتنا المعنى لما أدركناه ، ونفيه [illegible] لما لم ندركه ، نحن فى نومنا نوقن بما ليس بموجود لما

أدركناه ونذعن بعدم ماهو موجود تبعا لما تصوّرناه ، فالعبرة بأنفسنا لاغير ، ففيها سعادتنا وفيها شقاؤنا ، واذا تبدّى لنفس مايسعدها فهى سعيدة ، واذا تبدّى لها مايشقيها فهى شقية ، والعالم الخارجيّ أمر آخر غير نفسى فهو صالح للأمرين ، ولوأن الانسان عاش أمدا وأبدا ، وحياته كحياة النائم الذى يرى أنه فى روضات الجنات ، فهذا النائم سعيد سعادة حقيقية ، وان كان كل مارآه لاحقيقة له ، وان رأى حيات وعقارب وسعيرا وزمهريرا ودام إلى الأبد فهو الشقيّ شقاء أبديا ، فنفوستنا لايسعدها إلا ماأدركت ، ولا يشقيها إلا ماليس بما هو مؤلم ، فالنفوس إذن أصل الموجود عندنا ، ألبس هذا أيها الأخ الذكيّ هوالسرّ الذى وصل إليه قول [أفلاطون] فى أن أصل العالم هوالعالم العقلى ، فاذا كان ذلك هودأب نفوستنا وهى فروع لنفوس أكبر فدبر هذا العالم أفلاطون : ان النفوس التى اشتقت منها نفوسنا هى على هذا النمط ، فهى أصل لوجود العوالم ، والمدار على تلك النفوس لاعلى ماتفرّع منها من العوالم ، وماهذه العوالم إلا صور لما فى تلك النفوس العالية لأن المدار عليها كما أن المدار فى الوجود وعدم الوجود إنما هى عقولنا وارادتنا وهى الحقيقة عندنا لاغير ، فان كان فى المنام فالحقيقة ماتراه ، وان كان فى اليقظة فالحقيقة مانشاهده ، وأصل الوجود هوالأثير والحركات فيه ، واختلفت المناظر باختلاف أحوال الناظر فيها ، واذا كانت عقولنا ونفوسنا هذا دأبها فلنقل هكذا دأب العقول التى اشتقت عقولنا منها ، وتلك العقول الأولى منزلتها من صانع العالم منزلة أفكارنا من أنفسنا وان كان هذا مجرّد تشبيه لاغير وليس موضحا للحقيقة ، والتشبيه ماهو إلا ضرب مثل لاغير ، وهذا الذى عوّلنا عليه إيضاح وتبيان للسرّ الذى ذكره أفلاطون ، وبهذا الايضاح سيزول اشكال الأمم فى أصل وجود العوالم العلوية والسفلية ، والله هوالوليّ الحميد .

مسامرتان

ولأذكر لك هنا مسامرتين : الأولى عن الامام الغزالى . الثانية عن [ناسمرك]

يقول الامام الغزالى : لوأنك خبأت كنزا ثمينا وقبسه أموال عظيمة فانك تجد نفسك به فرحا مغتبطا ، ولوأن امرأ سرق ذلك الكنز وأنت لم تعلم به سنين عديدة لم يؤثر ذلك فى فرحك بل فرحك به دائم مادمت معتقدا وجوده وأنه ملكك . انتهت المسامرة الأولى .

المسامرة الثانية

ماجاء فى كتاب [مختارات الترجمة] باللغة الانجليزية تحت عنوان « لفافة التبغ التى تمتع بها باسمرك من غير أن يدخنها » وذلك أنه كان فى [كونيكارتز] وقد حمى وطيس الحرب واشتدّ الكرب ، وشمرت الحرب عن ساقها ، وعمّ ضررها ، ولم يبق لديه إذ ذاك لفافة تبغ واحدة ، قال هو بنفسه مايأتى :

« إن قيمة لفافة التبغ لاتعرف اذا لم يكن لديك سواها وكانت آخر ما تملك من هذا القبيل ، ولم يكن هناك سبيل لنيل غيرها ، وفى [كونيكارتز] لم تكن عندى إلا لفافة تبغ واحدة ، فحفظتها فى أمتعتى ، وحافظت عليها حفظ البخيل على كنز ماله مدة الحرب كلها ، وقد قرّرت فى نفسى أن العقل يقضى ببقائها وليس من الحكمة تدخينها ، ولقد كنت أحسّ بأجل السعادات ، وأبهى المسرّات ، وأعزّ الساعات ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها حينما أتمتع بالنظر إليها وأشاهدها وهى قرّة عين لى ببقائها ، ولكن واأسفاه قد وقع ماليس لى فى الحسبان ، ذلك أن فارسا قطعت يداه أثناء الحرب أخذ يهمس ملتمسا مايدلى نفسه

المسكينة وينعش فؤاده الحزين ، فأخذت أفتش فى حقيبتى ، فوجدت فيها النقود الذهبية ، ولكنها لاتغنيه شيئا مذكورا ، ولاتنعش قواه المنهوكة : فقلت له اجلس أنا أعطيك لفافة التبغ العزيزة لدىّ ، والتى هى سلوتى مدة الحرب ، فأشعلت النار فيها ، ووضعت فيها بين شفتيه الواهنتين ، هنالك تبسم ذلك المسكين فرحا مسرورا شاكرا ، أنا لم أتمتع بلفافة تبغ مدة حياتى كهذه اللفافة التى تمتعت بها ولم أدخنها . انتهى

هاتان المسامرتان أيها الأخ الذكىّ تلقيان شعاعا على موضوعنا ، شرح الله صدرك للحكمة وأنار بصيرتك بالعلم ، وزين صدرك بالايقان ، ومامثل هاتين المسامرتين إلا كمثل نور المصباح يلقى شعاعه على أصل الموضوع الذى أختمه بما يقوله الفلاسفة : « إن الانسان يمشى على الحائط فيقع وما أوقعه إلا وهمه ، وهو يمشى على الأرض فى أقلّ من عرض الحائط » ، فالصور الذهنية مبدأ الشقاء والسعادة ، فكأن الفكر أصل أعمالنا ، والعالم الملكى الأعلى أصل عوالمنا ، فأصل الوجود للعقول وجميع العوالم إن هى إلا تابعات ، والعوالم كلها أشبه بشجرة ، وهذه الشجرة فيها زهرات كثيرات ، والزهرات هى الأبصار التى ضرب بها المثل فى القدر فقال : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » فلمح البصر كترنح الأزهار على الأغصان ، ووراء الزهرات الثمرات ، كما أن وراء العين العقول والنفوس الأرضية والسماوية وترتيب القضاء والقدر ، أفلا تعجب من سرّ القرآن ! .

فقال صديقى : إن هذا البيان عجب ! ولم أسمع مثل هذا السرّ فى هذا التفسير. فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الثالثة فى (١٠) جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هجريه — (١١) سبتمبر سنة ١٩٣١ ميلادية . انتهى تفسير [سورة القمر]

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث والعشرون من كتاب « الجواهر » فى تفسير القرآن الكريم ، ويليه الجزء الرابع والعشرون ، وأوّله تفسير سورة الرحمن)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٧	تخطبتم	تخبطتم
١٠	٣٥	حققو	الحقوق
١٤	٢٣	السمان	السماق
١٤	٣٥	التمره	الثمره
١٥	١	زبيريه	زبيريه
١٥	٨	التمره	الثمره
١٥	١٤	زبيريه	زبيريه
١٥	١٨	ملترقه	ملتزقه
١٥	١٨	شحمنهاحبوب	شحمتهاحبوب
١٧	٩	التمره	الثمره
١٧	١٢	للتمره ـ للثمره	التمره ـ الثمره
١٧	١٤	للتمره	للثمره
١٧	٢١	الكائقات	الكائنات
١٧	٢٢	التمره	الثمره
١٧	٢٧	ومامى	وامامى
١٩	١٦	وراضى	وأراضى
٢٤	١٤	فالعاوم	يفيدان العاوم
٣٤	١٤	العصبات	العيدان
٣٥	٣	١٤	٢٦
٣٥	٤	٢٦	١٤
٣٧	٩	من	فى
٣٨	١	واذا	واذ
٣٩	٣٠	ولعرفه	ولمعرفة
٤٦	٥	جماعة ـ جاعه	فوج ـ فوج
٥٧	١	قوادم	خوادم
٥٨	٢٨	ان كما يفعل تسبيح المخلوقات باللفظ ونحن لانسمع	ان تسبيح المخلوقات باللفظ كما يسبح العقلاء ونحن لانسمع
٦٣	١٢	قدرى	ندى
٦٤	٢٠	الاوربار	الاوبار
٦٥	٢٥	حكيت	حاكيت
٦٧	٢١	فوعدته	قبل أن يبعث و بقيت له بقية فواعدته
٦٨	١٦	ومن نيته	وفى نيته
٧٠	١	وانما	وانما
٧١	١٦	عزمت على تركه فعزمنا	عزمت على تركه فسمعت
٧٢	٨	لما	بل لما
٨٣	١٠	على غيره	لغيره
٨٤	٩	لوجه	الوجه
٨٧	١٣	مغتايا	مغتابا
٨٨	٦	متى	حتى
٩٧	١٧	يستجبرون	يستجيرون
١٠٨	٢	العنى	الفتى
١٠٩	١	بدواء	بدواة
١١٢	٥	خبير	خير
١٢١	٦	يزينها	يرين
١٢٦	٢٤	فى انحاء	فى انحاء جسمه
١٢٨	١	درجته	درجة
١٣٠	٢٦	والاعضاء الرئيسيه	....
١٣٠	٣٤	لاتبرز بطونهم	نبرز بطونهم
١٣١	٢٨	نعتبر	ان نعتبر
١٣٣	١٨	معى	معى هذا
١٤٦	٢٢	١٢	١٢٨
١٤٨	٥	مضاريب	....
١٤٩	٦	١٣	١٦
١٥٥	١٠	ألف متر	ألف كيلومتر

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٥٦	٦	وبكون	ويكون
١٥٨	١	خراجا حول السن المريض	خرّاج حول السن المريضة
١٥٩	٢٨	لأرق	الارق
١٦١	٣٥	فى كتابى	وفى كتابى
١٦٢	١٤	تريك	تربك
١٦٢	١٨	والمقياس	والمقدار
١٦٢	٢٥	الدولة	...
١٦٥	٩	هكدا	جعل
١٦٥	٩	جعل	..
١٧٠	١١	والافتاء	والاقتناء
١٨٠	١٢	بالمعروف	المعروف
١٨١	١٩	ولكنه	....
١٨٣	٢٢	ولباس	وريشا ولباس
١٨٤	٧	متاحبات	متحابات
١٩٥	١٢	نقمل	تقبل
١٩٦	٢٣	وحلّ	وحلّ
١٩٩	٢١	الدور	الثور
٢٠١	٢١	ونعيم	ونعيما
٢٠٣	٢٩	التمر	الثمر
٢٠٤	٧	الزهرات	....
٢٠٥	٤	الذكر والانثى	الذكر والانثى منه
٢٠٥	١٧	الجلبات	والحلبان
٢١٠	٥	نقدّر	يقدر
٢١٣	٨	قبل	مثل
٢١٤	١٤	ايزدن	ايزوف
٢٢١	٢٨	مائتى	مائتين
٢٢٨	٣٣	لتحليها	لتحليها
٢٣٥	١	فى سوره	سورة

(تمت)

فهرس

الجزء الثالث والعشرون

من كتاب

الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صفحة

٢ تقسيم [سورة ق] .

٣ السورة مكتوبة مشكلة كلها .

٤ المبحث الأوّل فيه ثلاث مقامات : تفسير السملة ، ومعنى ق وتفسير الآيات من أوّل السورة إلى قوله « بل هم فى لبس من خلق جديد » .

٥ وجه الرحمة هنا .

المقام الثانى فى معنى [ق] وأن المسلمين علم الله قبل أن يخلق العالم أنهم سينامون عن العلوم عمدة وجهالة فرمز لهم هنا بحرف [ق] اشارة إلى القرآن .

٧ تفسير الآيات [قّ ، والقرآن المجيد] الخ .

٨ الكلام على أنه لاخلاء عند القدماء والمحدثين .

٩ المبحث الثانى فى الكلام على الموت وسكرته الخ .

١٣ فى هذه السورة ثلاث لطائف : اللطيفة الأولى والثانية فى عجائب الأرض والنبات .

١٤ حديقة فيها ٢١ نوعا من الشجر ، وأنابيب العنب ، مختلفة الثمر : النخل ، الرمان ، السفرجل ، الجوز ، اللوز التين ، العنب ، الأجاص ، المشمش ، الخوخ ، الأترج ، النارنج ، الليمون ، الحبة الخضراء ، الفستق ، السماق ، حب الصنوبر : البلوط ، العفص ، السرو ، الاهليلج .

١٥ هناك عشرين حكمة فى الشجر والنبات : الحب ، الشجر ، نسج الورق ، الهجم والنوى ، صلابة النواة قشر الحب والنوى ، الحب والنوى ، تقسيم الغذاء على أجزاء الشجر ، نظام الأوراق ، الثمرة فى غلافها موازنة بين الثمار وبين الأجنة ، اعتبر ذلك فى أمم الأرض ، حب الرمان المرصع ، غذاء الحب فى الرمان فى حب الرمان أيضا الحلاوة ، عود الرمانة ، النطيخ ومامعه .

١٩ شذرات علمية .

اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » .

٢٠ اللطائف العامّة فى هذه السورة .

٢١ اللطيفة الأولى فى سرّ [ا ل م] فى قوله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » . وتبيان أنا ذكرنا فى أوّل [سورة آل عمران] المعانى الاشاريه التى أوردها المتقدّمون فى هذه الحروف التى فى أوائل السور ، وأن [ا ل م] فى أوّل سورة [آل عمران] خاصة نشير إلى ماهناك من قصة اليهود الذين حرفوا التوراة وكتموا العلم فأراد الله ملكهم وسلط المسلمين عليهم فاستولوا على ملكهم ، وذلك فى قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب » الخ وهناك ظهر أن المقصود من هذا أن يعتبر المسلمون بما حلّ باليهود ، إذ اتكلوا على أن الله وعد آباءهم أنه

صفحة

لايعذبهم إلاتحلة القسم ، وأن آباءهم سيشفعون لهم عند الله يوم القيامة ، فهذا كله قد حصل فعلا عند المسلمين فكسلوا بعدماجهلوا المقصود من معنى شفاعة الشافعين ، فحروف [ا ل م] تشير إلى المسلمين الحاليين أن أفيقوا من غفلتكم والا حلّ بكم ماحلّ باليهود إذ ذاك ، إذن [ا ل م] فى أوّل [سورة البقرة] مفتاح لخزائن علوم كبيرة ، لأن القرآن مبتدأ بالبسملة وفيها الرحمة ، وهى مقدّمة للفاتحة ، والفاتحة مقدّمة للقرآن ، والقرآن فى أوّله [ا ل م] و [ا ل م] فى أوّل البقرة فتحت بها خزائن علوم الصبر على مكاره القتال ، وعن الشهوات فى آية : « ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » الخ فههنا صبر عن شرب الماء وصبر على الحرب ، والخزانة الثالثة فى سورة آل عمران وهى ترك الأمانى والأباطيل كما تقدّم ، وهناك خزانة رابعة ، وهى أن يعرف المسلمون تواريخ الأمم التى سكنوا ديارها « أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لونشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » ولقد قرأ المسلمون ذلك ولكن لم يقوموا بدراسة تلك الأمم فحلّ بهم ماحلّ بالفرس والروم اللتين سكن المسلمون ديارهم ، وهناك خزائن من العلم أخرى ، ومنها خزائن علوم السموات والأرض المذكورات فى هذه السورة إذ يقول الله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم »

٢٤ وههنا ورد اعتراض على المؤلف ، وهو أن هذا القول لم يسبقك به أحد ، فانه يؤخذ من كلامك أن المفسر يجب عليه أن يعرف علم الفلك والطبيعة ونحوهما ، وهاهوذا صاحب الاتقان قد ذكر (١٥) علما ليس منها ماذكرته أنت ، إذن أنت مبتدع [وجوابه] أن قول الله كفعله ، وهو قد أبدع السموات والأرضين ، وجعل كل عالم كأنه زهر لما قبله من الأثير والمجرّات والسيارات والأشجار والأزهار ، فهذا الانسان له زهر وزهره هى الحكم التى تلقى على قلبه ، لأنه قد اختص بأنه دائما بين خطتى الخير والشرّ وعقله يحكم ويعمل بحكمة ، فتكون علومه ثمرات جدّه ، وهذه هى علم الموهبة الذى فى كلام [صاحب الاتقان] وقال به ابن أبى الدنيا الخ فالمتقدّمون سهلوا لنا سبل العلوم اللفظية ، ولكنهم تركوا لنا العلوم التى تورث الموهبة المذكورة ، إذن هذه العلوم تفيدنا الموهبة التى ذكروها ، فأما التفسير بالرأى والهوى فمثل تفسير الروافض : إذ يفسرون البحرين فى آية : « مرج البحرين » بعلىّ وفاطمة الخ . ثم ان هذه العلوم التى تشير لها هذه الحروف كلها فروض كفايات ، واكتفاء المسلمين بقولهم : « الله أعلم بمراده » ينافى قول الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ، عجبا للمسلمين كيف ناموا عن دراسة أمم الفرس والروم وغيرهم بعد أن سكنوا ديارهم ، ومن أعجب العجب أن ملوك الاسلام استفادوا من هذه الحروف وأسرارها ، فهذا [محمود خان الغزنوى] لما أرسل خطاب تهديد إلى الخليفة العباسى أجابه الخليفة يقول [ا ل م] ولم يزد على ذلك ، فحار أهل الديوان فى ذلك ، فقال القهستانى أنتم هدّدتموه بالفيلة وهو يقول [ا ل م] مشيرا إلى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » الخ هنالك ارعوى [محمود خان الغزنوى] وتأدّب مع الخليفة ، واذا كان لفعل الله زهرات كما تقدّم من أن كل عالم كأنه زهر لعالم قبله ، هكذا نقول ان قول الله له زهرات كفعله ، وزهرات القرآن هذه الحروف التى بها تفتح خزائن القرآن وقد فتحت فعلا والحمد لله .

٢٦ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » وذكر مسامرة بينى وبين صديق لى أذكرنى بما شرحته من عجائب العين وغيرها فيما تقدم ، وتبيان أن فى هذه الدنيا محسوسون عن منظر هذا الجمال الباهر ، لأننا لو أدركناه لزال عنا كل حزن ، ولكن

صفحة

الجمال نعرفه شيئا فشيئا ، وذلك بالدرس وحده ، فلندرس الدنيا ولنخص بالدرس أجسامنا ، ولنذكر الآن عجائب العين التي بها نرى السماء .

٢٨ العين ومنفعتها ، وأن الناس يستعملونها ولا يعقلونها ، و بيان كيف ركبت طبقات العين ، وكيف جعلت تلك الطبقات بهيئة موسيقية عجيبة جدا ، وكيف عرفنا الصور والأحجام بهذه الآلة ، نحن لا نعرف آلة إلا بتفصيل أجزائها ، وأجزاء العين نعرفها بدراسة عين البقرة من عند القصاب (الجزار) ومتى نظرناها عرفنا أنها كرة فيها حبل أبيض خارج من خلفها هي داخل العين يوصل الى المخ ، ثم لندرس الطبقات طبقة طبقة .

٢٩ وههنا (شكل ١) قطعة من العين الانسانية وهيأ وضحت ١٥ قطعة من داخل العين مثل الصلبة والقرنية والملتحمة وغطاء المشيمة ، وآخرها الرطوبة الزجاجية .

٣٠ ثم (شكل ٢) فيه أجزاء العين مفصلة ، ولكن شرحها قد تقدم في [سورة المؤمنون] فلم يذكر هنا وهو معلوم ، جمال العين و بهجتها وعجائب اتقانها ، وذكر أهم أجزاء العين وهي القرنية : الرطوبة البيضية ، البلورية ، الزجاجية ، الشبكية ، وهذه تفهم بشكل (٣)

٣١ وهي تجربة تبين منفعة أجزاء معلومة من العين ، فترى المصباح يمثل ضوء الشمس مثلا ، واللوح الأبيض المقوب يمثل القزحية ، والزجاجة المائية تمثل البلورية ، واللوح نمرة ٤ القابل للصورة يمثل الشبكية وبهذا ظهرت قيمة القزحية فهي المساعدة لتمام الصورة على الشبكية ، الكلام على المنشورات البلورية القائمة مقام لزجاجية المملوءة ماء ، إن الزجاجة المتقدمة يعرفها الخاص والعام وهي تمثل البلورية ، ولكن العلم يعوزه ما هو أعظم من ذلك وهي أجسام زجاجية مضلعة (شكل ٤) قطعة من بلوريتين محدبتين وجزء من منشورين .

٣٢ تحليل الضوء إلى ألوانه السبعة : سير الضوء في منشورين قاعدة أحدهما ملتصقة بقاعدة الآخر فصار أبيض في الوسط ، والأشعة الزرقاء أسرعت فاجتمعت أولا ، والحمراء اجتمعت بعد ذلك ، واذا وضعنا بلورتين معا كما وصفنا رأينا نفس هذا السير في الضوء ، إن للقزحية إذن فائدتين : أولا لها الفضل في ظهور الصورة على الشبكية ، ثانيا انها تحفظ الضوء من أن يكون أزرق أو أحمر برتقاليا عند حافته ، فان ذلك نقص يعوق النظر ، ولقد احتال العلماء بوضع ستارة حلقية في الآلة البصرية [التلسكوب] فمنعت هذا العائق ، وهكذا فعل القزحية فهما سواء في ذلك .

وظائف القزحية والبلورية والشبكية : فالأولى لحفظ الصورة واضحة ، والثانية ترسلها ، والثالثة توصلها إلى الدفاع ، والشبكية عشر طبقات مفصلات في (شكل ٦)

٣٣ وآخر طبقة منها فيها ثلاث ملايين مخروط وثلاثون مليون اسطوانة ، وصورة هذين النوعين في صفحة ٣٤ (شكل ٧)

٣٦ يقول المؤلف : إن كثيرا من الشان سيعشقون هذه العجائب ، تأثير الضوء في النبات والحيوان والجماد المبحث الثاني من اللطيفة الدينية في عجائب السماء والكواكب ، وههنا الكلام الاجمالي على السيارات وعلى الشموس الكبيرة والمجرات ، والشمس تبعد عن سطح المجرة ٥٠٠٫٠٠٠ خمسين ألف سنة نورية ، وهي تسير مع شموس أخرى بسرعة مليون ميل في اليوم .

٣٨ وظهر ١٩ نجما جديدا من سنه ١٣٤ ق م إلى الآن . إن النجم الصغير المسمى [درواس] يبعد عنا

صفحة

١٢ ألف سنة نورية ، وضوءه أكثر من ضوء شمسنا ٦٠٠ ألف مرّة ، و بعض النجوم ضوءها ألمع من ضوء شمسنا من ١٥ ألف إلى ٦٠ ألف مرّة ، ونجم القطب اشراقه أكثر من اشراق شمسنا ١٠٠ مرّة وهكذا نجوم أخرى تقلّ عنه ، شمس الشموس هو [العيوق] وهو الذى يقال ان نجوم المجرّة كلها البالغة ٣٠ ألف مليون نجم تدور حوله ، وهو أكبر من الشمس مليونى مرّة و٤٢٠ ألف مرّة ، واشراقه أكثر منها نحو ٥٠ ألف مرّة . قطر المجرّة ٣٠٠ ألف سنة نورية ، وقطر بعض السدم ٢٠ ألف سنة نورية ، وأخفى السدم يبعد عنا عشرة ملايين سنة نورية .

٤٠ تطبيق أقوال الصلاة على عجائب البصر وعجائب السموات ، يقول المسلم فى الرفع « ربنا لك الحمد ملء السموات » الخ وهل معنى هذا الامتلاء إلا بأن يمتلئ القلب بالاعجاب بذلك الجمال ! فيكون الحمد إذ ذاك عن حب باعث له ، وقول المصلى فى سجوده « سجد وجهى الخ » جاء فيه ذكر السمع والبصر ، وههنا يسجد ويقترب ، لأن الدقة واضحة فى السمع والبصر ، والنظر للسماء مقدّمة للنظر فى النفس ، فالمسلم مبتدئ فى الرفع ومنتهى فى السجود لشدّة اقترابه بمعرفة دقة صنع نفسه ، ليس المدار على عظمة المصنوع بل المدار على دقته .

٤١ تسبيح المخلوقات وشرح الكلام فى القزحية وأنها تضبط النور ، وهكذا ذكر ألوان الآساد وغيرها ، وأنها وضعت لحكمة حفظها ، وهذا هو المقصود الحقيق من التسبيح ، فكل شىء يسبح بهذا الاعتبار ، والناس يجهلون هذه الدقائق ، فهم لا يفقهون تسبيح المخلوقات والله حليم عليهم .
سرّ من أسرار حكم العين وقرحيتها .

٤٢ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « والأرض مددناها » الخ وفيها مقالتان : المقالة الأولى فى قوله تعالى : « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » النبات إما وحيد الخلية ، واما كثير الخلايا ، والخلية لها جدار صلب شفاف فى داخله مادّة لزجة لها صفات الحياة الست مثل القدرة على تمثيل الغذاء الخ وفى داخل هذه الخلية نواة قد تكون فى داخلها (نوية) وهذه الخلية تنقسم انقساما مباشرا فى النباتات الدنيئة ، وانقساما غير مباشر فى النباتات المرتقية ، ههنا شكل ٨ وشكل ٩

٤٥ شكل ١٠ فيه نوع الخلايا وهى هنا ستة أنواع : مثل الخلايا المرتسيمية الخ ، ثم ان النبات ذا الخلية الواحدة تقدّم فى سورة حم فصلت ، وأما المركب من خلايا كثيرة فهو إما ذو فلقة واحدة ، واما ذو فلقتين ، فالأوّل مثل البصل والنوم والكرّاث البلدى والصار والنخل والقمح والارز والذرة الشامى وقصب السكر الخ — وذو الفلقتين مثل الكرنب والقنبيط والفجل والتفاح والطماطم الخ .

٤٧ شرح الساق فى النبات ذى الفلقتين مثل [الكيوتين] ومثل البشرة تحته ، وهكذا إلى سبع طبقات ، وآخرها أشعة نخاعية (انظر شكل ١١) و (شكل ١٢) و (شكل ١٣) و (شكل ١٤) و (شكل ١٥)

٤٩ امتحان الساق فى ذى الفلقتين يظهر فى الحلبة والملوحية بسهولة ، شرح ساق النبات ذى الفلقة الواحدة وهم (شكل ١٦ و١٧ و١٨) : الفرق بين نموّ الساقين أن أحدهما يزداد فى السمك عاما بعد عام وهو ذو الفلقتين وبالعكس ما كان ذا فلقة واحدة كالنخل

٥١ وهما (شكل ١٩) فيه الحلقات السنوية .

٥٢ شكل الخشب فى أنحاء مختلفة (شكل ٢٠) و (شكل ٢١) لبيان الجذور ، وأشكال ٢٢ و٢٣ و٢٤ لأصل النباتات الجرارية .

صفحة

٥٤ (شكل ٢٥) للنباتات السرخسية ، ويليها (شكل ٢٦)
الكلام على النباتات المعراة البذور والمغطاة البذور .
٥٥ الموازنة بين النباتات ذوات الفلقة وذوات الفلقتين وهي خمس فوارق .
٥٥ المقالة الثانية فى قوله تعالى « تبصرة » والتبصرة باستنتاج ١٤ حكمة مما تقدم هنا مثل أن الكيوتين لمنع الماء من البخر الخ وهذا الاتقان عام فى كل نبات ، وعدد النباتات ربع مليون .
٥٧ المقالة الثالثة فى قوله تعالى : « وذكرى لكل عبد منيب » وايضاح هذا المقام أن أغذية الأجسام معلومة وأغذية الأرواح ترد عليها من الصور الخارجة الواردة على الحواس الخمس فى كل زمان وهذا غذاء روحى والناس لايعلمون ، فاذا فارقوا الأبدان دامت تغذيتهم به .
٥٨ التسبيح والتحميد : والكلام على التسبيح والتحميد من المخلوقات أهو باللفظ أم بالمعنى ؟ والحق أن الاختلاف راجع لجهل الحقيقة ، إن الاعجاب بتلك الحكمة العالية فى العوالم هو نفس التسبيح فما هو القول إذن ؟ والتسبيح يلازمه التحميد ، وليس يمنع هذا قول الشيخ الدباغ : ان المخلوقات تسبح ، وقد سمع هو تسبيحها ، فهذا ليس أعلى التسبيح .
٦١ جمال العلم وبهجة الحكمة فى الكلام على وادى الموت بأمريكا ، فكل من دخله مات من حرارته وعلى غور الشيطان بأمريكا أيضا وعمقه ١٧٥ مترا ، وذلك بسبب جرم سماوى صنعه ، ثم الكلام على الجليد والفحم القطبى .
٦٢ ههنا ثلاث جواهر : فى آية : « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . وفى آية : « وذكرى لكل عبد منيب » . وفى آية : « مايلفظ من قول إلالديه رقيب عتيد » وفى الأولى ان تلقيح النبات ذى المسكنين يمكن أن يكون من مكان بعيد ، وفى الثانية أربع عجائب فى خلق النبات ، وفى هذه الثانية إتمام الكلام على آفات اللسان ، مثل السخرية والاستهزاء ، وذلك من كتاب [إحياء علوم الدين] للامام الغزالى ، ومثل إفشاء السر ، ومثل الوعد الكاذب ، ومثل الكذب فى القول واليمين .
٧٢ بيان مارخص من الكذب ، كمن يكذب للصلح بين اثنين .
٧٤ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض .
٧٦ الغيبة والنظر فيها طويل .
٧٩ بيان معنى الغيبة وحدودها .
٨٠ بيان أن الغيبة لاتقتصر على اللسان .
٨٢ بيان الأسباب الباعثة على الغيبة .
٨٥ بيان تحريم الغيبة بالقلب .
٨٧ بيان الأعذار المرخصة فى الغيبة
٨٨ بيان كفارة الغيبة .
٩٠ النميمة .
٩١ بيان حد النميمة ومايجب فى ردها .
٩٣ كلام ذى اللسانين .
٩٥ آفة المدح .

صفحة

٩٦ بيان ماعلى الممدوح .
٩٧ الآفة التاسعة عشرة : الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام .
٩٨ الآفة العشرون : سؤال العوامّ عن صفات الله تعالى ، وعن كلامه ، وعن الحروف أهى قديمة أم محدثة ؟ .
٩٩ وههنا شذرات من كتابنا [جوهر التقوى] من الحسد وأسبابه .
١٠١ الثبات والعزيمة ، والصبر وأنواعه ، والعفة والشجاعة ، وكتم السرّ وافشاؤه ، والقناعة والشره .
١٠٧ (١٣) سؤالا للتطبيق على الأخلاق المتقدمة ، الكرم والبخل .
١٠٩ اللطيفة الخامسة فى قوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » وأن هذه الآية معجزة فى البلاغة ، فان أحد المستشرقين مع أديب مصرى عجزا أن يأتيا بما يضارعها فى وصف جهنم ، وهذا عجب عجاب ! وههنا موازنات بين علم الأدب عند طبع هذا التفسير فى بلاد الاسلام ، و بين الأدب أيام تعلمنا بالجامع الأزهر ، وأن علم الأدب ارتقى اليوم جدّا .
١١٣ ﴿ سورة الذاريات ﴾ مكتوبة مشكلة كلها .
١١٤ تفسير البسملة ، و بيان غفلة الانسان فى هذه الأرض .
١١٦ القسم الثانى من السورة فى تفسيرها اللفظى من أوّلها إلى قوله « لعلكم تذكرون » .
١١٩ القسم الثالث من السورة فى تفسير الآيات من قوله تعالى : « ففرّوا إلى الله » إلى آخر السورة .
١٢٠ لطائف هذه السورة ثلاث : اللطيفة الأولى والثانية فى مبحث علمى ومبحث أدبى ، والعلمى يرجع الى أن [ق] جىء به مذكرا للمسلمين بعد غفلتهم فى زماننا ، والأدبى يرجع إلى الموازنة بين أقسام العرب وأقسام القرآن فان أقسام القرآن عجيبة لم يقلها عربىّ .
١٢٥ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » .
اللطائف العامّة فى هذه السورة ، وأولاها فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » الخ .
محاورات بينى و بين صديقى العالم الذى اعتاد محادثتى فى هذا التفسير .
الفصل الأوّل فى ملخص ما تقدم فى ﴿ سورة الفتح ﴾ لمناسبة قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وماتوعدون » .
الفصل الثانى فى علاقة أجسامنا بعالم السموات ، ومايتبع ذلك من طول العمر وقصره ، وفى التعمير وأسبابه ، وفى هضبة الحياة والعوامل التى تعمل فيها ، وفى منحدر الحياة ، وفى أسباب الشيخوخة والموت ، وفى منذرات الشيخوخة ، وفى العدد التناسلية ، وفى تجديد الشباب ، وفى وسائل التجديد واطالة العمر ، وفى هذا المقام شرح الجهل الذى كان فاشيا قديما عند رجال الطب الذين كانوا يأمرون الشيوخ بكثرة التغذى فظهر أن ذلك قاتل لهم ، وشرح الحمام الشمسى وفوائده ، وغير ذلك من الفوائد التى يجب الاطلاع عليها والعمل بها لتكون الحياة سعيدة ، ومن أهمّ تلك التدابير النافعة كثرة التنفس العميق فى الهواء الطلق ، فانه يحدث قوّة لكل عضو من الأعضاء .
١٤١ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ومابعدها ، و بيان بدائع الحساب من الجذور والتربيع والجمع والطرح فى الأعداد (١ - ٢ - ٣ - ٤ الخ) وكيف كانت أنواع الحساب المذكورة فيها يستخرج اسمها مثلثات دائمة الزوايا بينها تلاؤم ونظام عجيب كأنها جنات فيها نخيل وأعناب ،

وهناك

صفحة

وهناك يساوى مربع الوتر مربعى الضلعين الآخرين ، وهذه من عجائب نفوسنا ، وههنا الكلام على النسبتين العددية والهندسية ، وكيف أمكن أن يجعل من كل منهما وفق بحيث يكون جمع أوضرب أى صف أفقى أورأسى أوقطرى مساويا لباقى الصفوف الرأسية والأفقية والقطرية ، وهذا غاية العجب وكل هذا من عجائب نفوسنا ، وهكذا يستبين العدد الكامل والناقص والزائد والأعداد المتحابة ، وذلك كله باعتبار مضاريب الأعداد ، فان ساوت المضاريب نفس العدد فهوكامل ، وان زادت فهو زائد ، أونقصت فهوناقص ، وان ساوت مضاريب عدد عددا آخر وكانت مضاريب ذلك العدد مع العدد الأوّل كذلك سمى العددين متحابين .

١٤٨ إن أمر نفوسنا عجب ! انها عرفت أن من الكسور مالانهاية له ، ومنها ماله نهاية ، والأوّل كسر دائر مركب أو بسيط ، والثانى ليس بدائر ، وسير الكواكب كالكسر الدائر المركب ، وعدم نهاية أجزاء المادّة كالكسر الدائر ، وكذلك عدم تناهى العوالم ، وههنا تعجب المؤلف من المثلثين المتقدّمين ونظامهما العجيب ، ويقابل ذلك كله التشريح ونظام الأمم .

١٥٠ الفصل الثانى فى حدائق العلوم التى تفيأ الناس ظلالها من علم الفلك والطبيعة ، وظهورغاية الدهش من حساب الأحجار الساقطة فى نظام سرعتها ! وكيف دخل فيها الجذروالتربيع الخ وهكذا نظام أوراق النبات .

١٥٢ (شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) يمثلان نظام أوراق أمثال شجرالتفاح الذى يرجع إلى كسر بسطه عدد (٢) ومقامه عدد (٥) والأوّل للأشكال الحلزونية فى الدائرة الواحدة ، والثانى لعدد أوراقها ، وكيف كانت الورقات الخمس فى الدائرة بينها مسافات متساوية ٧٢ درجه من محيط الساق وهو دائرة تامة

١٥٣ الفصل الثالث فى أن الأمم وان استظلت بظلال تلك العلوم فى حياتها لم تجن ثمراتها .

١٥٤ الانسان لم يدرس حقائق السياسه كما درس أحوال الحياة .

لطيفة فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلاتبصرون » .

١٥٥ [الشذرة الأولى] فى كريات الدم الحمراء [الشذرة الثانية] فى بعض المنافع الطبية والمحافظة على الأسنان وتنظيفها ونحوذلك ، وأن الأسنان الذهبية قاتلة لنوع الانسان ، وأن الأسنان لابدّ من تسويكها ، واللثة لابدّ من تنظيفها بالأصبع لا بالسواك .

١٦٠ الشذرة الثالثة فى أمر النفس وعجائبها ، وبيان أن الحقول هى الكلية الأولى لعلم النفس ، ذلك أنى كنت أفكر فى أمر النفس وأنا فى الحقل ، ولم يكن أمامى إلا السماء من فوق والأرض من أسفل والناس حولى ، فهى هكذا : عالم علوى ، وعالم سفلى ، ونفس الانسان ، وجميع المخلوقات على الأرض ملحق بها ، ثم قرأت علوم الأزهر ونظرت فى كتب الفلاسفة المتقدّمين ، ثم فلاسفة أوروبا ، فوجدت المتقدّمين جعلوا العلوم هكذا : رياضيات ، طبيعيات ، إلهيات ، والطبيعيات هى سماع الكيان والسماء والعالم ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، والمعادن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان . ثم هم يقولون إن للنفس ثلاث قوى ، ثم يأتون بعد ذلك بالعلم الأعلى وهوخمسة علوم ، وهذه كلها مع الرياضات ومع تهذيب الشخص ونظام الأسرة ونظام الأمة تبلغ ١٧ علما ، ولها فروع كثيرة ، وجاء [بيكون] فقال أنا أجعل مبدأ التقسيم نفس الانسان مخالفا مذهب المتقدّمين ، فاعتبر القوّة المخيلة والمفكرة والحافظة وجعل نظام الطبيعة ونفس الانسان والذات العلية للقوّة العاقلة ، ونحوالشعرللقوّة المخيلة ، ونحوالتاريخ

صفحة

١٦٠ للقوّة الحافظة .

الكلام على آراء [اخوان الصفاء] فى هذا المقام ، وعلى مافى جمهورية أفلاطون فيه ، وهومنهوم فى مواضع كثيرة من هذا التفسير وينحونحو هذا الترتيب بعينه [كونفشيوس] الصينى .

١٦٨ فصل فيما جاء فى علم النفس الحديث .

١٦٩ نظرة عامة فى علوم النفس عند القدماء والمحدثين ، والكلام على كتاب [سلوك المالك ، فى تدبير الممالك] مثل أن الرذيلة لها دواء كالشره والعجب وأنه لافرق بين دواء المرض بضده ، ومداواة الرذيلة بضدها

١٧٠ تبصرة وتذكرة فى آية : « وفى الأرض آيات للموقنين » الخ وههنا (شكل ٣٠) للمخ الانسانى ، وأنه منقسم إلى قسمين كل قسم منهما أربعة فصوص وكل فص من هـذه الثمانية ينقسم إلى أقسام أخرى على حسب التلافيف .

١٧٣ (شكل ٣١) مقطع جانبى للمخ يبين الألياف الرابطة ، وبيان الألياف الضامة والألياف المصدّرة والألياف الموردة ، ويوضح ذلك أيضا (شكل ٣٢) .

١٧٤ (شكل ٣٣) مقطع فى اللحاء .

١٧٥ وظائف المخ ، مناطق اللحاء ، وههنا مناطق عجيبة موزّعة على أعضاء الحسّ وعلى أعضاء الحركة ، فترى للسمع والبصر والشم والذوق مناطق فى مؤخر الدماغ ، ولكن حاسة اللمس لها منطقة موازية لشق (رولندو) من خلفه موزّعة على ظواهر الجسم من القدم إلى اللسان فى الوجه من الظاهر إلى داخل المخ ، وفى مقابل هذه المناطق الموزعة على ظواهرالجسم من الناحية الأخرى من شق رولندو مناطق أخرى للتحريك بترتيب المقابلة لها التى للاحساس ترتيبا تاما ، وهناك ثلاث مناطق فى المقدم والوسط والمؤخر قد جعلت لنظام تلك الحواس ، فهى أشبه بالحكام فى المدن .

١٧٧ مراكز اللحاء فى المخ أربعة : مركز الكلام والكتابة ، وادراك الألفاظ المسموعة ، والألفاظ المكتوبة وبين هذه الأربعة اتصال ، وكلما كانت كلها متعاونة كان الفهم أسرع ، وذلك نافع فى علم التربية فى المدارس .

١٧٨ المخيخ : وظيفته تنظيم حركات الجسم ، ومتى عطل كانت حركات الانسان غير مضبوطة ، فهو نظير المناطق الثلاثة فى المخ التى تحكم بين الحواس المختلفة وتنظمها .

نظرة عامة على هـذه المشاهـد فى علم النفس : اعلم أن أعصاب الحسّ وأعصاب الحركة مشابهات للتيارات البحرية من حيث التعاون والاتحاد فى العمل والمصلحة ، وكما أن الانسان لاسعادة له إلا بانتظام هذه الأعصاب وأنواع الاحساس والحركة بسبب انتظام مخه وحسن تقسيمه هكذا النوع الانسانى لاسعادة له إلا بانتظام جميع قوى عقوله المختلفات وتعاون الجميع .

١٨٠ والمسلمون خير أمة أخرجت للناس ، فعليها أن تقوم باسعاد الأمم كلها بهـذه السعادة ، وههنا يظهر للعاقل أن هذا الكون كله كلمات الله ، لأن كل ضوء ، وكل مادّة ، وكل حيوان ونبات ، والسماء والأرض ماهى إلا حركات فى الأثير فان كانت الحركات صعيفة كحركات صوت الانسان لم تعرف إلا بأسماعنا ، وتبلغ فى نهايتها (٣٢) ألف حركة فى الثانية وان كانت الحركات أقوى حدث بسببها إما ضوء وذلك بسبب ٤٠٠ مليون مليون حركة فى الثانية إلى ٧٠٠ مليون مليون حركة فى الثانية ، واما موادّ نشاهدها ، وذلك بسبب ٦ آلاف مليون مليون حركة فى الثانية الواحدة ، إذن الحركات الضعيفة تحسّ بها آذاننا ، والحركات القوية تحسّ بها بقية حواسنا ، إذن الكون كله حركات ، وهذه الحركات كلمات ، وههنا حديث طريف ، ذلك

صفحة

أن الطفل فى لعبه يحكى أعمال أجداده ومستقبل عمله كما أن الجنين يمرّ على أدوار كل حيوان تقدّمه من أوّل خلية إلى أعلى حيوان .

١٨٢ جوهرة فى آية : « ومن كل شىء خلقنا زوجين » وبيان أن القرآن يسمع المخاطبين ما تقبله عقولهم وليست الأمثلة التى فيه حاصرة لما يجب علينا ، وعلى العقول التفكر فى كل شىء ، وبيان ماشاهدته من العنزات ، وأن ذيولهنّ مرفوعات ، والمه منع الذكر بالغريزة أن يقرب الأنثى بعد الضراب ، فالانسان حرّ لأنه سهل له سبل كل شىء ، وعقله هو الذى يحكم ، وكما أن الرجل لايترك الشهوة إلا بعقله ، والتيس ترك ضراب العنز بالغريزة ، هكذا الأمم الأمريكية والانجليزية الذين يمنعون السودأن يجلسوا معهم فى مكان واحد يعوزهم عقل يرشدهم ، ودين يذكرهم ، وهذه العنزات أحبّ الأبيض منها الأسود وغيره بالغريزة ، فالانسان فى سياسته الشخصية وسياسته العامة يعوزه مقوّم من الخارج

١٨٥ أقسام المملكة الحيوانية وأنها إما وحيدة الخلية واما كثيرة الخلايا ، ولكل منهما أقسام وهى أربعة فى الأولى ، وأقسام كثيرة فى الثانية مثل الفقرية وأقسامها الخمسة ، والخامس منها ثمانية أقسام مثل اللافقرية وأقسامها الثمانية .

١٨٦ الأميبا (شكل ٣٥)

١٨٧ القسم الثالث من وحيد الخلية : البوجلينا (شكل ٣٦) الحيوانات الجرثومية .

١٨٨ حوصلات الملاريا المعدة (شكل ٣٧) و (شكل ٣٨) حيوان الاسفنج .

١٨٩ اسفنج الحمام (شكل ٣٩) . (شكل ٤٠) أخطبوط

١٩٠ (شكل ٤١) نجم بحرى يفترس محارا .

١٩١ (شكل ٤٢) قطاع عرضى فى الذراع .

١٩١ (شكل ٤٣) الدودة الكبدية الكاملة .

١٩٢ (شكل ٤٤) دودة البلهارسيا (شكل ٤٥) دودة الانكلستوما .

١٩٣ القسم السادس من الحيوانات عديدة الخلية ، والقسم السابع منها وهى التى لافقرات لها ، وهنا شكل ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ أما ٥١ فذلك فى القسم النامن من الحيوانات عديدة الخلايا وهوالقوقع الرومانى و٥٢ فى بلح البحرمدفونا .

١٩٥ بهجة الحكمة فى هذه المناظر الحيوانية . يقول المؤلف : إن هذه الرحمة لاحدّ لها ورحمتنا نحن جزء منها ، وههنا يذكر المؤلف تلك الخلايا فى أوراق الأشجار كما تقدم فى [سورة يسّ] ويذكر أن خلق نوعين من الحيوان ضارّ ونافع معناه أننا أحرار فى عملنا ، فلولم يخلق غير النافع لم تكن لنا حرّية ، فالحرّية تتبع خلق الضدين ، وهذه ميزة هذا الانسان .

١٩٩ زيادة إيضاح « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . يقول المؤلف : إن الدنيا جمال ونحن محجوبون عنه ، فكأن الناس عمى أمام العادات الحسان ، صمّ لايسمعون أبهج النغمات ، ويقول المؤلف : انه يحسّ عند كتابة هذا الموضوع بسعادة لاحدّ لها .

٢٠٢ مسامرة فى آية : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » وفيها الكلام على تقسيم النبات أيكون بالشجرات والشجيرات والأنجم ؟ أم يكون بأنه ذوسنة أوسنتين أوسنين ؟ وكلاهما لايفيد بل المفيد أن يكون التقسيم بالزهر ، إن المدهش أن يكون ثبات النظام الزهرى هوالذى كان به التقسيم كما كان

صفحة

ثبات سير المشرقات العلوية سببا فى تقسيم الزمان .

٢٠٤ وهذا معنى هذا العنوان : « الزهرات تنوب عن النجوم فى بعض آثارها » .

٢٠٥ ومن الفصائل الفصيلة الخضرية كالفول وجميع أوراق زهرها خمس لاغير ، وهى من ذوات الفلقتين التى لايخرج ساقها عن أن تكون مخروطية الشكل ، فأما ذوات الفلقة الواحدة كالنخل فان ساقها اسطوانية الشكل .

٢٠٥ الكلام على الفصيلة الوردية ، وفيها التفاح والبرقوق الخ فالكأس خمس والتويج خمس ولكن أعضاء الذكور كثيرة جدّا ، بخلاف ماقبلها فعددهن عشر لاغير .

٢٠٦ الكلام على اتجاه العقول الاسلامية ، فانك ترى موشحة الوزير أبى عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس هكذا : ✻ جادك الغيث إذ الغيث همى ✻ الخ فهؤلاء فى ناحية والقرآن فى ناحية .

وزير فرنسى يؤلف فى عجائب صنع الله ، ونظيره فى الأندلس يقصر شعره على الوصل والهيام .

٢٠٩ ويتبع هذا الكلام على العلويات الآتية فى ﴿ سورة الملك ﴾ وذلك أنه يستخرج من ضوء الشمس وسيره هناك كيف ترى الصورة فى المرآة معكوسة ، ولماذا هذا ؟ وكذلك تعرف هناك العدسات والمكروسكوبات والتلسكوبات والمناظر وأضواء الشمس السبعة ، وكيف يمكن استخراج النار بالعدسات الثلجية فى الأقطار الشمالية .

٢١١ تفسير سورة الطور ، هى مكتوبة مشكلة .

٢١٢ تفسير البسملة : ان اتجاه الرحمة هنا أن الكمال بعد النقص كالجنة بعد ذكر النار ، وكوضوح الحجة بعد المقدّمات .

٢١٣ القسم الثانى : ذكر العذاب والنعيم فى التفسير اللفظى لهذه السورة إلى قوله : « انه هو البرّ الرحيم »

٢١٥ القسم الثالث من أوّل « فذكر » إلى آخر السورة .

٢١٦ لطائف هذه السورة .

٢١٧ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى « والطور » .

اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « والبيت المعمور » وبيان أن هذه الأقسام كلها تمت بصلة إلى مانحن عليه الآن من العلوم المنشورة ، واشراق القلوب ، وظهور نار فى باطن الأرض كشفها الناس الآن ، وهى البحر المسجور ، والكلام على « الضراح » الذى يقال ان حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض ، وأن هناك ملائكة يصلون إليه كل يوم ولايعودون أبدا ، ومن عجائب هذه الآيات انتشار التعليم اليوم شرقا وغربا ، وكذلك [الراديو] والتلغراف السلكى والذى لاسلك له ، وانتشار الجرائد وهكذا ، فهذا كله يومئ إليه الرقّ المنشور .

٢١٨ نتائج هذه المعجزة القرآنية فى بعض النفوس ، فالجهلة والكسالى يفرحون بأنهم عرفوا أن دينا حقّ ويقفون عند ذلك الحدّ ، والعارفون وأرباب النفوس الكبيرة هم الذين يأخذون بيد هذه الأمة إلى رقيها فيما تشير إليه هذه الآيات .

٢١٩ تفسير سورة النجم ، ههنا كتبت كلها مشكلة .

٢٢٠ تفسير البسملة ، و بيان أن الله أقسم بالنجم وأعظم أمره فقال : « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » لأنه يعلم قبل نزول القرآن أن النجوم هى التى عليها مدار سير السفن فى وسط البحار الكبيرة بعلوم

صفحة

العلك التى لايفقهها على حقيقتها غير ربان السفينة ، و بيان أن النجم فى وسط السماء لايدل على طريق ولكنه اذا هوى يدل دلالة صادقة ، و بيان أن ذلك ارشاد لأكثر المسلمين الساهين اللاهين ليذكرهم بما ظهر الآن من عظمة النجوم وسرعة ضوئها ، وأن سرعة الأمواج التى لاسلك لها تجرى كجرى النور حول الأرض فى سبع ثانية مرّة واحدة ، وتجرى حول الكون كله فى مائة مليون سنة ، وقد علم أن الأرض لوصغرت لجوهر فرد لصار الكون كله مصغرا مثل الأرض ، وعلى مذهب النسبية يكون ألف مليون أرض ، وفى المجرّة (٣٠) ألف مليون نجم ، ويقول [هارفرد] مائة ألف مليون نجم ، والسديم اللولبية أقربها إلينا بعده ثمانمائة وخمسون ألف سنة نورية ، وفى السديم الواحد مادّة تكفى ألفى مليون نجم . ويقول [هيل] : « إن التلسكوب الآن يستطيع معرفة مليونين من العوالم الجزرية وكل واحد يبعد عن الآخر مليونين سنة ضوئية ، ولكن اذا تمّ التلسكوب الجديد يصل المعلوم منها ١٦ مليونا بدل مليونين ، وههنا بيان عمر الشمس ، وعمر الأرض ، وعمر الحياة عليها ، وعمر الانسان الذى عاش عليها ٣٠٠ ألف سنة ، و بيان أن جميع الكواكب تبلغ ٢ على يمينها ٢٤ صفرا . محاورة بينى و بين عالم ، وفيها الكلام على أن كل علم لابدّ له من تمرين ، والتمرين على علم الدين بالعبادة المذكورة فى آخر ﴿سورة الطور﴾ ثم تمام العلم مذكور فى ﴿سورة النجم﴾ : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » ومتى انتهى الانسان فى العلم أفاض على غيره ، وهذا قوله : « ماضلّ صاحبكم وماغوى » .

٢٢٥ لماذا وجب المران فى كل شىء ؟ و بيان أن المادّة نفسها عبارة عن حركات كثيرة انضمت فصارت مظاهر مختلفة ، فاذا كان أصلها الحركة فلن يستخرج نتائجها إلا الحركات ، وذلك هو التمرين .

٢٢٦ مقدّمة فى مناسبة السورة لما قبلها ، و بيان أن التصدّى لارشاد الأمة ينبغى له أن يقوم بالليل ويفعل ماهو مذكور فى آخر سورة الطور ليقبل الناس قوله .

٢٢٧ القسم الثانى فى التفسير اللفظى للآيات من أوّل السورة إلى قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

٢٢٩ وههنا تفسير الآيات من قوله : « أفرأيتم اللات والعزى » إلى آخر السورة .

٢٣٣ لطائف هذه السورة .

لطيفة فى قوله تعالى : « والنجم اذا هوى » وههنا مذكرة واسعة النطاق بالآيات التى فى آخر سورة الطور ، وبما فى أوّل سوره النجم ، و بيان أن الجد المذكور فى آخر الأولى لن يتمّ إلا بالمعارف ، وهذه المعارف ظاهرة مما رآه صلى الله عليه وسلم فى السماء من آيات ربه الكبرى ، فهكذا فلتكن حياتنا نسبح ونحمد ولكن نجدّ فى المعارف حتى يكون حمدنا حقا الخ .

٢٣٤ ثمرة هذا المقام فى أمم الاسلام ، و بيان أن هذه المعارف التى لايتمّ الجد إلا بها تكون للأنبياء بلاتعليم ، ولكنها لاتكون لنا بغير تعليم ، رأى صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ويقول إن ماوراءها لايعرفه أحد ، إذن المعارف الشائعة الآن فى الشرق والغرب مباحة ولم تقف فلماذا نقصر فيها ، ونبينا صلى الله عليه وسلم قدوة فى جميع المعارف ، لأنه وصل إلى نهايتها ، ونحن قد نمنا فى أوّلها .

٢٣٥ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى » الخ ، وههنا سؤال يرد على المؤلف ، وهو كيف يهلك الله الأمم ونحن نحرم علينا قتل رجل عمدا نصدخل به النار المؤبدة ؟ وهل إهلاكه الأمم

صفحة

هو الودّ الذى اتصف به [ودود] وبيان أن الجواب على هذا سيأتى فى ﴿سورة الحديد﴾ وهناك ستقرأ النظام التكوينى والتشريعى ، ودرجات التربية ، وتربية الأمّ لولدها ، وتربية الأب له والمعلم والحكومة ، وتربية الإله ، واحداثه الزلازل فى الأرض كما تمنع الأم ولدها عما يشتهيه وهو يضرّه ، وبيان أن العلم إما سطحى كالشعر واما حقيقى ، وأن الحب على مقدار العلم ، وأن الله توارى عنا ولكنه قدف لنا كرات نراها كل صباح وكل مساء .

٢٣٧ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » وفى هذا المقام وصف ماشاهده المؤلف وهوخارج من القاهرة إلى مزرعته بقرب المرج ، وأن روحا تمثل له فى خياله وأخذ يقصّ عليه قصص عوالم الأثير الذى تجرى فيه الكواكب والأضواء ، وأنه عالم يحمل من الأثقال مالاتحمله أىّ مادّة مع أنه هو ليس مادّة ، وبيان أن كل انسان وحيوان مغمورون فى جمال بديع لايعرفون كنهه ، وأن الشمس والكواكب ترسل الأنوار ، وهكذا هناك عوالم روحية وهم الملائكة يرسلون أنوارا عقلية وتعليما لكل حشرة ولكل حيوان وانسان ، إذن النورحسىّ ومعنوىّ ، وليست تأخذ النفس من العالم العقلى إلا على مقدار طاقتها كما لايأخذ الجسم من الأضواء إلا على مقدارمساحته .

٢٤٠ حيرتى وفراق لتلك الروح الجميلة ، والكلام على الهواء والضياء والقوى الفكرية وفى العذاء والمخ الخ وبيان أنى لما أفقت من غشيتى تذكرت أن تفسير هذه الآية لم يتمّ فماذا أصنع ؟ ذلك لأنى إلى الآن لا أفهم لماذا بذكر الله النشأة الأخرى بعد ذكر الزوجين الذكر والأنثى وأىّ مناسبة ؟ واذا كان الله فى ﴿سورة الأنعام﴾ يقول : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » وأعقب ذلك بأنه يجمعنا يوم القيامة ، فهل الذكورة والانوثة رحمة ؟ وكيف تكون رحمة ونحن نرى المحار فى البحار تلد الواحدة منها الآلاف والآلاف ملاهجر ولا نفقة ولا عدّة ، بل نفس الذكر هونفس الأنثى ، ونحن نرى بنى آدم معذبين بهذه الذكورة وبهذه الانوثة ، فهل هذا العذاب ينتج لنا رحمة . وجواب ذلك أن الذكورة والانوثه مدرسة لتعليم الجمال والحب والوصل والفراق حتى تتمرّن النفس على درس الجمال ودرس الحب ولن تتمّ السعادة بعد الموت إلا بعشق وشوق وغرام إلى الجمال الأعلى ، وبهذا ترتقى النفوس شيئا فشيئا ، إذن هذا درس مبدئى لنوع الانسان ، وفى هذا الدرس تمرين على الصبر والصدّ والفراق ، وذلك يعطى النفس قوّة فترتقى فى ذلك العالم الجميل ، وفى هذا المقام ماراوله المؤلف من قطع [الكمثرى] من النخلة وكيف سعته السلاء عن ذلك ، وكيف كانت الذكورة والانوثة هما تمت بصلة إلى موضوع الآيه ، وبيان أن الله حفظ الذكورة فى النخل بالسلاء كما حفظ ورق السفط بالشوكات معها .

٢٤٦ ﴿سورة القمر﴾ مكتوبة كلها مشكلة .

٢٤٧ تفسير البسملة وبيان أن الأنوار طهرت الشمس والقمر والنجوم فلم يفقه معناها أكثر الناس ، فأعطاهم نماذج من التاريخ كقوم عاد ونوح الخ حوادث الأوّلين هداية للآخرين ، ومتى درسوا نظام هذه الدنيا أدركوا معنى آية « إنا كل شىء خلقناه بقدر » وأقرب الناس إلى ربهم العارفون ، وسواهم لهم مراتب على مقدارهم .

٢٤٨ التفسير اللفظى للسورة كلها .

٢٥٢ الملائم هذه السورة : اللطيفة الأولى فى قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر »

٢٥٨ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » فيها معنى القضاء والقدر .

٢٦٠ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » .

﴿ التقاريظ ﴾

لما كان هذا التفسير قد قرّظه كثير من علماء الشرق والغرب وأطنبوا فى مدحه وقد طلب منا الكثير من قرائه درجها فى الكتاب رأينا أن نضع فى كل مجلد قسما منها بحسب مايقتضيه المقام ، ونبدأ الآن بما جاء فى « المجلة الاسيويه الفرنسية » المطبوعة سنة ١٩٠٨ لنبين بذلك منزلة المؤلف عند علماء أوروبا من حيث العلم والدين . وكذلك ما كتبه الاستاذ مصطفى السقا مدرّس اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية الأميرية فى جريدة المقطم يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ تقريظا لهذا الكتاب . ثم نتبعه بما نشر فى جريدة الاهرام يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ترجمة لما دبجه البارون (كرّاديفو) بالفرنسية فى كتابه المسمى «مفكرو الاسلام» وهاك بيانها بالترتيب مبدوأة بكلمة وجيزة للصحح :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن أنزل الذكر الحكيم . واصطفى لفهم أسراره كل حبر عليم . فأخرج من مكنون معارفه ثمين جواهر لآلبه . وأظهر من الأصداف دررا غالية بعد أن خفى على تاليه . ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ـ

وصلاة وسلاما على ينبوع المعارف ، تليدها والطارف ، سيدنا محمد المحمود وآله معدن الأسرار ، وصحابته العلماء الكملة الأخيار ، وبعد فلما كان تنزيل ربنا لايدرك كنهه من بنى الانسان إلا الملهمون ، قيض الله جلت قدرته فيلسوف العصر ووحيد الدهر العلامة الحكيم (الشيخ طنطاوى جوهرى) لنشر معارفه الحكمية مصداق ـ مافرّطنا فى الكتاب من شئ ـ فجدير بأن يتسابق الى الوقوف على بديع ما أبداه من العلوم الكونية والعمرانية كل مسلم محب الاطلاع على سر الكتاب العزيز ، وبذلك فليتنافس المتنافسون ، ونرجوا الله أن يطيل فى عمر المؤلف حتى يكمل طبع هذا الكنز الثمين وان يمتع الامة الاسلامية بمؤلفاته آمين

ابراهيم حسن الانبابى

خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح

بمطبعة الشيخ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

﴿ تقريظ مجلة علمية ﴾

جاء فى المجلة الاسوية الفرنسية مانصه : « الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم بالدين ، وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أتما موافقة بخلاف فريق من العلماء العاريين الذين وقفوا على القشور وجمدوا على الألفاظ جمودا معيبا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية فى الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الامم الاسلامية ، فهذه المباحث يخاطب المؤلف لأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ، ويحاول إزاحة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجمود المخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مسالكهم حتى انه لايخص مذهبا دون مذهب ولامملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة بمبادئ السر لأن بحثه عام فى الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المدنية والعلوم والحضارة » اهـ

﴿ تفسير الجواهر ﴾

اليوم فرغت من قراءة قسم كبير من ذلك التفسير الجليل للأستاذ الفاضل «الشيخ طنطاوى جوهرى» وفى نيتى أن أعود اليه مرة أخرى وربما عدت اليه أكثر من مرة لأن الأثر الذى تركه فى نفسى حبب الىّ أن لا أفرغ منه ، أحب أن أقرأه مرات كثيرة لأنه يعيد على الذاكرة ذلك الدرس الناقع الذى كنا نتلقاه فى دار العلوم عن ذلك الشيخ الجليل ، بل الفيلسوف الكبير

كان الاستاذ يلقى علينا درسا فى تفسير القرآن الكريم ، ولم يكن تفسيرا بالمعنى الذى اصطلح الناس عليه فلم يكن الشيخ ممن يذهبون بعيدا فى تأويل الألفاظ وتحميلها مالا تحمل من المعانى التى سماها غلاة الصوفية بالمعانى الباطنية والاشارات الرمزية ، ولم يكن ممن يعبؤن بسرد مذاهب أهل النظر والعقائد من سنية ومعتزلة وخوارج وشيعة وجبرية وقدرية وغير أولئك من الفرق والشيع ، ولم يعن بالمباحث اللفظية التى امتلأت بها كتب كثير من قدامى المفسرين حتى أصبحت عائقا عن فهم معانى القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين

لقد كان الاستاذ يسلك فى تفسيره غير تلك الطريق التى سلكها المفسرون من قبل ، فكان يفسر القرآن كما كان يفهمه الصدور من علماء المسلمين فى العصور الزاهية . وكان يفسر القرآن مبينا ما اشتمل عليه من الاصول لنهضة الأمم وحياتها ، وكان يفسر القرآن بذلك الروح الذى سرى فى علماء المسلمين يوم كان الاسلام قويا وكان علماؤه مسموعى الكلمة فنهضوا بأمتهم نهضة مباركة

عرفنا مما ألقى علينا الاستاذ خلاصة فكرته فى تفسير القرآن وهى أن الدين الاسلامى منبع لسعادتى الدنيا والآخرة ، وأن المسلم يجب عليه أن يصلح حال دنياه مع سعيه لصلاح آخرته وأن كل تقصير فى الوسائل التى ترقى الناس فى دنياهم يكون سببا فى انحطاطهم وتسجيل الشقاء عليهم ، فكان كل ما يلقيه تطبيقا على هذه الفكرة التى امتلأت بها نفسه . فكنا نسمعه يشرح لنا العلوم الاسلامية والكونية والسياسية والاجتماعية التى بها تنهض الأمم وترقى . ويبين سنة الله فى الأمم التى بادت بما ظلمت وهلكت بما أسرفت . ويحذر الأمم الحاضرة أن تسلك مسالكهم أو تأخذ أخذهم فتصيبهم بما صعوا فارعة أو تحل قريبا من دارهم

وكنا نراه يعنى بالرقى الحسى والمعنوى الذى نالته أمم الحضارة . ويبين انه قائم على أسس من العلوم والفنون التى أهملها الشرقيون . وينبه الغافلين الى وجوه المدنية الصحيحة ويحثهم على التعلق بأهدابها . تلك كانت طريقة الاستاذ فى تفسيره الشفهى الذى كان يلقيه على طلاب دار العلوم . وما كان أسعد دار العلوم بما غرس الاستاذ فيها من مبادئ الحكمة الرشيدة . وما كان أشد غبطة طلاب دار العلوم بذلك الدرس الحى الذى ملأت قلوبهم روعته ونفذت الى أفئدتهم حكمته

ولقد رأى الاستاذ أن ما كان ينتفع به الطلاب فى دار العلوم جدير أن ينتفع به كل مصرى بل كل شرقى فشرع يحرر تلك الحكم العالية مما طبعها وأهداها الى أمته التى يتفانى فى حبها والعمل لانقاذها ، ولقد مضى على الكتاب العزيز نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وضع العلماء فى خلالها مئات من كتب التفسير ولكن ليس بينها (فيما أعلم) مثل هذا التفسير الجديد . ولم أعلم أن أحدا من المفسرين حاول وضع مثله أو حدث نفسه به

أقول ذلك وقد قرأت فى كثير من كتب التفسير ولم أر بينهم مفسرا كان همه أن يطبق ما فى الكتاب العزيز على الحياة العامة للأفراد والجماعات وسنن الله فى الكائنات والتدبير فى نظام الأرض والسموات وما فيهما من آيات بينات كما نجد سيدنا الشيخ طنطاوى فى تفسيره الجديد

لست مطلعا أيها القارئ فيما أتيل . وهو كتاب حى كثير الحركة . فخذه وتدبر ما حوله وقف على مؤلفه ترى أن

الكتاب فوق ما أصف لك وأن مؤلفه قد رزق من التوفيق حظا كبيرا — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم —

سترى (اذا قرأته) انك تقلب النظر فى روضة علوم أحكم غرسها وتنسيقها الفحول من علماء الشرق والنابغون من فلاسفة الغرب

ترى فيه جمال الاسلام ونصاعته وانه دين الفطرة الذى يلائم روحه كل زمان وانه الدين الذى رفع أمة الاسلام لما أخلصت الى حيث غاية الهمم ومنتهى الآمال وانه الدين الذى بقبس من نوره اهتدى ناس من أهل الغرب فنالت أممهم من سعادة الدنيا حظا موفورا وقسطا كبيرا

ترى فيه المذاهب الجديدة والأفكار الحديثة فى تطبيق العلم على الدين . وترى صاحبه تارة معلما للنبات يشرح خصائصه . ودارسا للحيوان يعدّد أنواعه وفصائله . وتراه تارة فيلسوفا دينيا . وطورا زعيما سياسيا . وآونة شاعرا يحلق بك فى سماء الخيال ، وأخرى كاتبا بألفاظ من السحر الحلال

وعلى الجملة ترى نظام العالم مشروحا وأسرار الأرواح محققة وعجائب الكون مفصلة وسنن الوجود مبينة وآيات الله فى الخليقة واضحة

وخلاصة القول أن بسير الاستاذ الشيخ طنطاوى هوظرف لتجربة دامت نصف قرن قضاها مؤلفه بين طلب العلم فى الأزهر الشريف ثم فى مدرسة دار العلوم وتدريس فى المدارس المصرية على اختلاف درجاتها واطلاع واسع على الأفكار الذائعة بين فلاسفة الشرق والغرب ومعرفة بأمراض الأمم الاسلامية والشرقية عامّة وخبرة بما تتطلبه حاجتها إبان نهضتها . فلئن كان الاستاذ قد وفق الى وصف العلاج الناجع لما نحسّ من الآلام لقد كان نتيجة لتلك التجربة الطويلة والغيرة الشديدة على الشرق وعلومه التى نسيت ومدنيته التى محيت ، ورجاؤنا الى الله أن يمدّ فى عمر الاستاذ ويبارك فيه ليطول به الامتاع ويعم الانتفاع ان شاء الله تعالى

مصطفى السقا

مدرّس اللغة العربية بالمدارس الثانوية الأميرية

﴿ المفكرون فى الاسلام (١) ﴾

أبرز لنا الشيخ طنطاوى جوهرى المصرى الجنس كتابا كثيرة فلسفية دينية وهو روح قوية مفيدة ملك الذوق العلمى ويشعر بنشاط قوىّ وحماسة بما فى الأمم الاسلامية من النقص الشأن الذى حطّ من كرامتها فى عيون أمم الغرب ، ويجدّد فى بث فكرته ونشاطه وحماسته بين معاصريه فى أقطار الاسلام ليبرهن لهم أن اكتساب العلوم ليس مما لايضاد الاسلام فحسب ، بل ان العلوم مجدّدة لشباب الاسلام معطية له قوى جديدة . ويتبين من كلامه انه رجل السلم والانسانية الراغب فى أن يرى المودّة مشيدة الصروح بين الأمم معتقدا أن الديانات تسعى لنشر هذه المودة العامّة كما يظهر من ناحية أخرى انه مخلص صادق أمين . وهذا الحكم استنتجناه من أسلوبه السهل المنتعش الحياة العالى النادر الوجود . وبالجملة فالاستاذ يتجلى فى نفسى من كلامه بهيئة محبوبة ذات روح لطيفة وشخصية بارزة

فسر القرآن بطريقة فريدة نستحق الاحترام والاجلال شائقة جديدة ومع ذلك لم يشذّ فيها عن آراء المتقدمين . وابتدأ بهذا التفسير وهو مدرّس بدار العلوم . وكان يلقى على تلاميذه تفسير بعض الآيات وتلقفته جميع الأقطار الاسلامية وانتشر فيها أى انتشار . والصفحات الأولى منه رياك حيية واضحة وآية ظاهرة ورفوة

(١) فصل مستخرجة من كتاب « مفكرى الاسلام » للعلامة البارون (كارادى فو) وهى تعريب النص الفرنسى بالحرف من صفحة ٥٦ الى صفحة ٩٣ من الجزء الرابع من عنوان المفكرين فى الاسلام وذكرهم فيه بمصر ثلاثة : رفاعه بك والامام الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى